91 me. année No 961

Le Caire 3 — 12 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أمريكا التى رأيت :

فى ميزان القيم الانسانية

للاستاذ سيد قطب

— ٣ —

الأمريكى بدائى فى ذوقه الفنى ، سواء فى ذلك تذوقه للفن ، أو أعماله الفنية

موسيقى « الجاز » هى موسيقاه المختارة . وهى تلك الموسيقى التى ابتدعها الزنوج لإرضاء ميولهم البدائية ، ورغبتهم فى الضجيج من ناحية ، ولاستثارة النوازع الحيوية من ناحية أخرى . ولا تتم نشوة الأمريكى عامها بموسيقى «الجاز» حتى يصاحبها غناء مثلها صارخ غليظ . وكلما علا ضجيج الآلات والأصوات ، وطن فى الآذان إلى درجة لا تطاق . . زاد هياج الجمهور ، وعلت أصوات الاستحسان ، وارتفعت الأكف بالتصفيق الحاد المتواصل ، الذى يكاد يصم الآذان

ولكن الجمهور الأمريكى مع هذا يقبل على الأوبرا ، ويصغى إلى السيمفونيات ، ويتزاحم على « الباليه » ويشاهد الروايات التمثيلية « الكلاسيك » حتى لا تكاد تجد مقعدا خاليا ، ويقع فى بعض الأحيان ألا تجد مكانا إذا أنت لم تحجز مقعدك قبلها بأيام ، على غلاء الأسعار فى هذه الحفلات

ولقد خدعتنى هذه الظاهرة فى أول الأمر ، بل لقد فرحت بها فى داخل نفسى ، فقد كنت دائم الشعور « باستخسار » هذا الشعب الذى يصنع المعجزات فى عالم الصناعة والعلم والبحث ، ألا يكون له رصيد من القيم الإنسانية الأخرى ، وأنا شديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب ، وهو فقير من تلك القيم جميعا

فرحت إذن حين شاهدت هذه الظاهرة ، لأن الجمهور الذى يقبل على الفن الراقى غير ميئوس منه مهما تكن عيوبه ، ومتى فتحت هذه النافذة فى شعوره فالأمل كبير أن تطل منها أشعة أخرى كثيرة

وقد دفعنى الاهتمام بهذه الظاهرة إلى أن أتقصى كل شئ عنها ، فى أوساط مختلفة ، وفى مدن متعددة ، ولكن تتبعى لسمات الوجوه ، ومحادثاتى مع الكثيرين والكثيرات من رواد هذه الأماكن — من أعرف ومن لا أعرف قد كشفت لى — مع الأسف — عن أن الشقة ما تزال بعيدة بين روح هذا الفن الإنسانى وروح الأمريكان . إن مشاعرهم عنها محجبة إلا فى النادر ، وأنهم إنما ينظرون إلى المسألة من زاوية اجتماعية

مرة . فالأمريكي المثقف لابد أن يكون شهد هذه الألوان وذهب إلى تلك الأماكن ، حتى إذا دار الحديث عنها في مجتمع شارك في الحديث . فالعيب الأكبر في أمريكا ألا يشارك الإنسان في الحديث ، وبخاصة بالنسبة إلى الفتيات ، إذ المطلوب منهن أن يجدن دائماً موضوعات للحديث ، فإذا ارتدن هذه الأماكن فإنهن يضمن موضوعات جديدة إلى الموضوعات الأمريكية الخالدة وهي : مسابقات الكرة . وأسماء الأفلام . والممثلين والممثلات . وحوادث الطلاق والزواج . وماركات وأسماء السيارات

وبهذه الروح ذاتها تفد الجموع على المتاحف الفنية ، عابرة عبوراً خاطفاً بالقاعات وبالمعروضات ، بطريقة لا تدل على تذوق أو ألفة لهذه الأعمال . كما يذهبون أفراداً وجماعات لمشاهدة مناظر الطبيعة خطفاً ، والمرور بأقصى سرعة السيارات بالأماكن والمناظر لجمع مادة للحديث ، ولتلبية الميل الأمريكي الطبيعي إلى الجمع والإحصاء

ولقد كنت أسمع في مبدأ وجودي بأمريكا أن أحدهم زار كذا وكذا من المدن والبلاد والمناظر والمشاهد ، وقطع كذا ميلا في رحلاته السياحية، وهو يعرف كذا عدداً من الأصدقاء ، فأعجب بهذه القدرة على صنع هذا كله ، وأود لو أستطيع منه شيئاً ! ثم عرفت فيما بعد كيف تتم هذه المعجزات . . . يركب أحدهم سيارته وحده أو مع أسرته أو أصحابه في رحلة ، فيعدو بها عدواً على آخر سرعتها ، مخترقاً بها المدن والمسافات ، عابراً بالمناظر والمشاهد، وهو يقيد في مذكرته الأسماء والأميال . . ثم يعود فإذا هو شهد هذا كله وأصبح له الحق في الحديث عنه !

أما الأصدقاء فيكفي أن يدعى إلى حفلات التعارف ، وهناك يلتقي بالوجوه أول مرة ، والقائم بالدعوة يعرفه بالحاضرين واحداً واحداً وواحدة واحدة ، وهو يستكتب من شاء منهم اسمه وعنوانه وكذلك هم يفعلون معه . وعلى الزمن تتضخم مذكرته بالأسماء والعنوانات . فإذا هو صاحب أكبر رقم من الأصدقاء والصديقات. وقد يفوز في مسابقة تقام لهذا الغرض . وما أكثر وما أغرب المسابقات هناك !

وهكذا يقاس علمك وثقافتك أحياناً بقدر ما قرأت وما شهدت وما سمعت . كما تحسب ثروتك المادية بعدد ومقدار ما تملك من مال وعقار سواء بسواء !

وليست هذه عقلية الجماهير وحدها ، ولكنها كثيراً ما تكون عقلية المفكرين والباحثين . فلقد خطر للمفكرين في أمريكا أنه لا يصح أن تكون دولتهم أغنى دول العالم ، وشعبهم أكثر شعوب الأرض حضارة صناعية ، وحضارة علمية ، ثم لا يكون لهم من الثروة الفنية مثل ما لبعض الشعوب الفقيرة كالطليان والألمان

ولديهم المال — والمال يصنع المعجزات — وإن هي إلا سنوات حتى كان لهم من متاحف الرسم والنحت أفخمها وأضخمها . وجمعت لها القطع الفنية من كل فج، وعمرت بالنادر والثمين من هذه القطع ، التي لم يبخلوا على شرائها بالمال . وكلها قطع أجنبية إلا القليل ؛ لأن القطع الأمريكية بدائية وساذجة إلى حد مضحك بجوار تلك الذخائر العالمية الرائعة

وكذلك كان لهم من الفرق الموسيقية العازفة وفرق «الباليه» الراقصة ، أكثرها مهارة وإتقاناً ، ومن مديري هذه الفرق أعظمهم عبقرية وإبداعاً . . وكلهم من الأجانب إلا القليل

ثم خرجت الإحصاءات الدقيقة تعلن عما تملك أمريكا من الثروات الفنية الضخمة ، المشتراة بالمال ، ولكن بقي أمر واحد بسيط : أن يكون للنفس الأمريكية نصيب في هذه الثروات ؟ بل أن يكون لها مجرد التذوق الفني لهذا التراث الإنساني الثمين !

وخطر لي أن أمتحن هذه الأرقام في متاحف الفن ، كما أمتحنها في دور الأوبرا وما إليها

ذهبت للمرة العاشرة إلى متحف الفن في سان فرنسسكو وجعلت مادة امتحاني إحدى قاعات الصور من الفن الفرنسي ، ووزعت اهتمامي على ما فيها من الصور ، ولكنني ركزته على صورة واحدة بارعة اسمها : « ثعلب في بيت الدجاج » ولا تملك الألفاظ أن تنقل إلى القارئ روعة هذه الصورة العبقرية التي صور فيها الرسام جملة مشاعر عميقة مركبة في لوحة ليس فيها وجه إنسان يسهل على الرسام أن يصور هذه المشاعر فيه . .

تملب في بيت الدجاج، والجو داكن خانق وقد هجم الثعلب أول ما هجم على دجاجة أم مفرخة، بدت مكروبة مجهودة، في مخالب الوحش المكشر؛ وقد فزع صغارها، وتناثر البيض الباقي تحتها؛ على حين تناثرت زميلاتها في فراغ اللوحة، ووقف الديك — رجل البيت — وقفة المغلوب على أمره، الحائر الذي لا يجد خلاصاً لزوجه المكروبة وهو حاميها! أما الأخريات فواحدة جازعة مأخوذة، وأخرى قانطة مشمئزة أن يكون في الحياة كل هذه الشناعة، وثالثة حائرة متسائلة: كيف وقع هذا؟ والجو كله والألوان في اللوحة العبقرية تصور ما لا تدركه الألفاظ

واسترحت إلى مقعد من المقاعد التي جهزت بها القاعات تجهيزاً جميلاً بديعاً، ليستريح عليها الزائرون عند التعب من المشاهدة والطواف، ورحت أستعرض الملامح والسمات، وأنصت إلى الملاحظات والتعليقات

وانقضت علي في جلستي أربع ساعات كاملة، مر بي في خلالها مائة وتسعة، فرادى وأزواجا وجماعات، معظمهم من الفتيات والفتيان الذين يتواعدون على قضاء بعض الوقت في حديقة المتحف، ثم في المتحف ذاته، لأنه ينبغي للفتاة الاجتماعية أن تشارك في الحديث، وأن تجد موضوعات للحديث

كم من هؤلاء التسعة والمائة بدا عليه أن يحس شيئاً مما رأى؟ واحد فقط تلبث أمام الصورة المنتقاة نحو دقيقتين، وتلبث في القاعة كلها نحو خمس دقائق.. ثم طار

وكررت التجربة في قاعات المتحف الأخرى، ثم كررته في متاحف أخرى في عدة مدن، ثم انتهيت إلى أن قلة نادرة من هذه الكثرة الكثيرة التي تتضمنها إحصاءات الزائرين تدرك شيئاً من هذه الثروة الفنية الهائلة، التي جمعها الدولار من كل بقاع الأرض، وبقي أن يخلق الحاسة الفنية، التي يبدو أنها لا تستجيب لسحر الدولار!

* * *

الفن الوحيد الذي يتقنه الأمريكان — وإن يكن سواهم لا يزال يفوقهم في الناحية الفنية فيه — هو فن السينما. وهذا طبيعي ومنطقي مع تلك الظاهرة التي ينفرد بها الأمريكي: ذروة الإتقان الصناعي، وبداية الشعور الفني. وفي السينما تبدو هذه الظاهرة واضحة إلى حد كبير

لا يرتفع الفن السينمائي بطبيعته إلى آفاق الفنون العليا: الموسيقى والرسم والنحت والشعر، ولا إلى فن المسرح كذلك، وإن كانت إمكانيات الصناعة الفنية وإمكانيات الإخراج في السينما أوسع بكثير. وأقصى ما يصل إليه فن الإخراج في السينما من إبداع، هو أقصى ما يبلغه فن التصوير الشمسي. ثم تظل المسافة بينه وبين المسرح مثلا، كالمسافة بين التصوير الفوتوغرافي والتصوير بالريشة. هذا تتجلى فيه عبقرية الشعور، وذلك تتجلى فيه مهارة الصناعة

والسينما فن الجماهير الشعبي، فهو فن المهارة والإتقان والتجسيم والتقريب، وهو بطبيعة اعتماده على المهارة أكثر من اعتماده على الروح الفنية.. يمكن أن تبدع فيه العبقرية الأمريكية.. ومع هذا فما يزال الفلم الإنجليزي والفرنسي والروسي والإيطالي أرقى من الفلم الأمريكي، وإن كان أقل صناعة ومهارة

والكثرة الغالبة من الأفلام الأمريكية تتجلى فيها بدائية الموضوع، وبدائية الانفعالات، وهي في الغالب أفلام الجريمة البوليسية، وأفلام رعاة البقر. أما الأفلام العالية البارعة من أمثال: «ذهب مع الريح» و«مرتفعات وذرنج» و«ترتيل برنادوت» وما إليها فهي قليلة بالقياس إلى النتاج الأمريكي. وما يرد من الفيلم الأمريكي إلى مصر أو البلاد العربية لا يمثل هذه النسبة، لأن الكثير منه من أرقى الأفلام الأمريكية النادرة. والذين يزورون دور العرض في أمريكا هم الذين يدركون تلك النسبة الضئيلة من الأفلام القيمة

هنالك فن آخر برع فيه الأمريكان، لأن ما فيه من المهارة في الصناعة والإنتاج، أكثر مما فيه من الفن العالي الأصيل.. ذلك هو فن تمثيل المناظر الطبيعية بالألوان، كأنها فوتوغرافية صادقة دقيقة. ويبدو هذا في متاحف الأحياء المائية والبرية، إذ تعرض هذه الأحياء أو أجسادها المحنطة في مثل مواطنها الطبيعية كأنها حقيقة، وتبرع ريشة الرسام، في تصوير هذه

الواطن ، مشتركة مع التصميم الفني للمنظر ، وتبلغ حد الإبداع

* * *

ثم ندع تلك الآفاق العليا في الفن والشعور ، لنهبط إلى ألوان الملابس وإلى مذاق الأطعمة

إن بدائية الذوق لا تتجلى في شيء كما تتجلى في تلك الألوان الصارخة الزاهية ، وفي تلك التقاسيم المرقشة الكبيرة وبخاصة ملابس الرجال .. ذلك السبع أو النمر الواثب على صدر الصدرية .. وذلك الفيل أو الثور الوحشي الجاثم على ظهرها . تلك الفتاة العارية الممددة على رباط العنق من أعلى إلى أسفل ، أو تلك النخلة الصاعدة فيه من أسفل إلى أعلى ...

لطالما تحدث المتحدثون عندنا عن « فستان العيد » في الريف ، أو عن ثوب العروس في القرية ، بألوانه الزاعقة البدائية ، التي لا تربط بينها رابطة ، إلا أنها كلها فاقعة الألوان .. ليت هؤلاء يرون معي أقمصة الشبان في أمريكا لا ملابس الفتيات !

ولطالما تحدث المتحدثون عن « الوشم » عند الغجر ، أو في أواسط إفريقية ، ليتهم يرون أذرع الشبان الأمريكان وصدورهم وظهورهم ، موشمة بالوشم الأخضر : ثعابين وحيات ، وفتيات عاريات ، وأشجاراً وغابات ! في أمريكا المتحضرة . في الدنيا الجديدة . في العالم العجيب !

أما الطعوم فشأنها هو الآخر عجيب

إنك تلفت النظر ، وتثير الدهشة ، حين تطلب قطعة أخرى من السكر لكوب الشاي أو القهوة تشربه في أمريكا . ذلك أن السكر محتفظ به للمخلل « والسلاطة » ! كما أن الملح يا سيدي محتفظ به للتفاح والبطيخ !

وفي صحفة طعامك تجتمع قطعة اللحم المالحة ، إلى كمية من الذرة الحلوة ، وكمية من البازلاء المسكرة وبعض الربى الحلوة .. وفوق ذلك كله الـ Gravy المؤلف أحياناً من السمن والخل والدقيق ومرقة العجل والتفاح ، والملح والفلفل والسكر .. والماء !

كنا على المائدة في مطعم ملحق بالجامعة حينما رأيت بعض الأمريكان يضعون الملح على البطيخ ، وكنت قد اعتدت رؤية هذه « التقاليع » واعتدت كذلك أن أتفكه عليهم في بعض الأحيان . وقلت متجاهلا : أراكم ترشون الملح على البطيخ ؟ قال أحدهم : أجل ! ألا تصنعون ذلك في مصر ؟ قلت : كلا ! إنما نحن نرش الفلفل ! قالت واحدة في دهشة واستفسار : أو يكون مستساغا ؟ قلت : يمكنك أن تجربي ! وجربت ، وذاقت . وقالت في استحسان : كم هو لذيذ ! وكذلك فعل الآخرون

وفي يوم آخر جاء فيه البطيخ ، ومعظم من يأكلون على المائدة هم هم ، قلت : وبعضنا في مصر يستخدم السكر أحيانا لا الفلفل . وبدا أحدهم ففعل وقال : كم هو لذيذ ! وكذلك الآخرون !

وباختصار فكل ما يحتاج إلى قسط من الذوق فالأمريكاني ليس له فيه حتى الحلاقة ! وما من مرة حلقت شعري هناك إلا وعدت إلى البيت لأسوي بيدي ما شعث الحلاق ، وأصلح ما أفسده بذوقه الغليظ !

* * *

إن لأمريكا دورها الرئيسي في هذا العالم ، في مجال العلم التطبيقي ، وفي مجال البحوث العلمية ، وفي مجال التنظيم والتحسين ، والإنتاج والإدارة .. كل ما يحتاج إلى ذهن وعضل فهنا تبرز العبقرية الأمريكية . وكل ما يحتاج إلى روح وشعور فهنا تبدو البدائية الساذجة

وإن البشرية لتملك أن تنتفع بالعبقرية الأمريكية في مجالها فتضيف قوة ضخمة إلى قواها . ولكن هذه البشرية تخطئ أشنع الخطأ ، وتعرض رصيدها من القيم الإنسانية للضياع ، إذا هي جعلت المثل الأمريكية مثلها في الشعور والسلوك ..

إن ذلك لا يعني أن الأمريكان شعب بلا فضائل ، وإلا لما أمكنه أن يعيش ، ولكنه يعني أن فضائله هي فضائل الإنتاج والنظام ، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية ؛ فضائل الذهن واليد ، لا فضائل الذوق والشعور

سيد قطب

موقف الفكر العربي من الحضارة الغربية

لحضرة صاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك

(تابع)

الفكر العربي والديمقراطية :

ثم إلى الديمقراطية، تلك الصفة الثانية من صفات هذه الدنية، ونحن نعني بالديمقراطية هنا معناها الحرفي الذي يدل عليه لفظها ، وتدل اشتقاقاته ، ذلك حكم الشعب بالشعب . إنها الديمقراطية السياسية

إن العصور الغابرة لم تعرف الديمقراطية إلا حكمة في القول عابرة ، وإلا نصيحة يأخذ بها من يأخذ ويدع من يدع ، وإلا حثا للحكام على الشورى لم يبلغ حد الفرض، ولم يكن له أثر يطول

ولقد عدوا أثينية البلد الديمقراطي الأول الذي عرفه التاريخ، وكانت أثينية مع هـذا مدينة من مدائن الإغريق أكثر أهلها العبيد . كانت ديمقراطيتهم ديمقراطية للقـلة فيها من الأحرار . وكانت ديمقراطيـة محدودة مشروطة . وهي ديمقراطيـة ضاقت بالذي قال سقراط، بالذي صرح به من آراء، فقضت عليه بالموت . وهي الديمقراطية التي قام فيها فيلسوفها الثاني أفلاطون يقول في جمهوريته بحصر الحكم في فئة من خيـار الناس ، هي وحدها الصالحة ، وهي وحدها المسئولة ، وسائر الناس لها تبع

وجاء من بعد الإغريق الرومان فما عرفوا الديمقراطيـة في الحكم . كانت الديمقراطيـة بينهم اسما في عهود الجمهورية ، ثم زال حتى اسمها في عهود الأباطرة . ولقد جهد الرواقيون الرومان في إبراز معنى المساواة بين الناس . سيسرو Cicero سنكا Seneca جايوس Gaius ، وأضراب لهؤلاء.. ولـكن لم يكن لهذه الفئة من الحكماء والـكتاب من أثر في أسلوب الحـكم ، إنما كان أثرها في القانون من حيث تخفيفه وترقيقه لا سيما على العبيد الأرقاء

وجاءت المسيحية فحـاولت ما حاولته الأديان من قبل ومن بعد ، أن تجعل الناس سواسية . وحاولت أن ترفع حظ الفقير، وأن تجعل [illegible] ى من صاحبه يرحى فيه ثوبه ، صوائح الناس . ولـكن لم تلبث المسيحية أن صـارت دين الرومان ، ولم تلبث الـكنيسة أن صار لها وجود ذاتي ، وصار لهـا استقلال وقوة ، وصار لها ثروة ، وصار حـكم ، وصـاحب الحـكم لا ينزل عن حكمه طوعا ليقسمه بين الناس

وجاء الإسـلام فقال بالذي قالت به الأديان وزاد . وجعل الحـكم شورى . والرق جعله كفارة لشتى الخطايا ، تفريجـا له وتكريها فيه . وقال سلمان منا آل البيت . وقال : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وجعل للفقير حظا في مال الغني . وفعل وفعل ... ولـكن لم يلبث الإسلام أن صار ملـكا عضوضا ، ولم يلبث الخلفاء أن صاروا حـكاما مطلقين، يصلح منهم من يصلح ، ويفسـد من يفسد ، والناس تتلقف الخير وتتلقف الشر جزافا كما يأتي به الزمان

وجرى الحال على هذا المثال في الأمم قرونا ، لم يطمئن الناس فيها على ما في جيوبهم من مال ، ولا على ما فوق أكتـافهم من رؤوس. حتى جاء القرن الـسادس عشر، وبدأت بوادر الديمقراطية بين أمم الأرض في أوربا . بدأت بانشقاق الـكنيسة على نفسها . ودافع المنشقون عن عقـائدهم . والنقلة من الدفاع عن الحقوق الدينية إلى الدفاع عن الحقوق المدنية نقلة يسيرة . وجاء القرن الـسابع عشر فهب الإنجليز يوطدون دعائم السلطة في الشعب بالدفاع عن برلمانهم . فكانت الثورة . وكان أن طاحت الرأس الذي دار به خمر السلطان المطلق فأساءت حكما

وجاء القرن الثامن عشر فقامت الثورة الفرنسية ، مهد لهـا الـكتاب الذين أسمـوهم بالفلاسفة ، فلتير Voltaire ، ديدرو Diderot ، مونتسكيو Montesquieu ، روسو

وقبل الثورة الفرنسية بأعوام وقعت حرب استقلال أمريكا، وباستقلالها توطد الحـكم الديمقراطي فيها

وانفسح المجـال أمام الشعوب بعد ذلك لأن يتخـذوا الديمقراطية عقيـدة ، وأن يتخذوها أسلوب حكم . وتعددت الأساليب إلى يومنا هذا ، والغاية واحدة

والفكر العربي يقف من الديمقراطيـة ، من حكم الشعب

بالشعب ، موقف المناصر الشديد المناصرة . وهو يشتد في مناصرته لها بمقدار ما أعوزه منها وهو يناصرها ويعلم أنها لم تبلغ الغاية مما آمل الناس منها ، ولكنه يناصر لأنها إلى اليوم خير ما ابتدع الإنسان من أسلوب. والفكر العربي يناصرها وهو يعلم أن حكم الشعب يقابله حكم الشعب بالشعب وهو جاهل ، وخيم المواقب؛ ولكنه يناصر لأن حكم الطغاة ، وهو أوخم عاقبة ، وهو أعون على دوام الجهل ودوام العجز ، ودوام الفقر ودوام الذل والمسكنة، وكثيراً ما يسول لي الشيطان أن أرى أن الطغيان يأتي من مناوالينا؛ أرحم منه الطغيان الذي يأتي من الأعاجم ، لأنه مع طغيان الأعجمي في هذا العصر المدني قد يأتي العلم ، وقد تأتي الحضارة، وقد تأتي نسائم للحرية لا تهب والأبواب مغلقة : والأجنبي الطاغية قد يكون أسهل إقالة، وأنت أجدر منه ، إن قلت هل ، أن تستجيب لك القلوب ، أو تستجيب الحناجر ، وإن كنت حسن الظن فقد تستجيب السواعد

العلم والديمقراطية :

فهذا هو العلم وهذه هي الديمقراطية ، أظهر صفات هذه المدنية الحاضرة ، وأضخم صفاتها . وقد جاءا الإنسانية معاً . متواقتين كأنما كانا على ميعاد

وإلى جانب هاتين الصفتين صفات أخرى ، اتصفت بها المدنية الغربية ، بعضها تقدم العلم في الزمن ، وتقدم الديمقراطية ، فكان من خوالقها . وبعضها تأخر في الزمن عن العلم وعن الديمقراطية ، فكان من مخلوقاتها . وبعضها امتزج بها فلا تدري أهو خالق أم مخلوق وسأصيب من ذلك طرفاً

المدنية وحرية الفكر :

وأول هذه حرية الفكر ، وهي صفة من صفات المدنية الحاضرة أصيلة . بدونها لا يكون علم ممكنا ، وبدونها لا يكون حكم الشعب بالشعب ممكنا ، وعلى بداهة هذا فقد ضاق بالحرية صدر الزمان . والعرب يستطيعون أن يفخروا بأنه جاءت عليهم حقبة من الدهر كانوا فيها من أكثر أهل الأرض رحابة صدر

لقد كان من أسبق صنوف الحجر على حرية الرأي في الذي نعرف من التاريخ ، الحجر على الرأي الديني المخالف أن يشيع . والعرب اختلفت في أحكام دينها الغالب ، وجملته مذاهب استقرت على أربعة ، يستحكم بينها الخلاف أحيانا إلى حد التناقض، ومع هذا تجمع بين أهل هذه المذاهب الصلاة رتجمعهم سائر الشعائر ، ولا يخطر على بال أحد أنه ومن على يساره أو على يمينه مختلفان . واتسعت صدور الشرق لمثل هذا في القرون التي ضاقت فيها صدور الغرب ، فكان الاضطهاد من أجل الرأي في الدين ، وكان الطرد من الكنيسة ، وكانت محاكم التفتيش ، وذلك في دين عيسى الذي إن أخذ عليه شيء في هذا الصدد فهو الزيادة في الرحابة ، ومقابلة العداوة بالصداقة ، والكراهة بالحب ، والإساءة الزائدة بالإحسان الزائد

ومع هذا فقد أساء العرب إلى حرية الفكر إساءة لا تغتفر أبداً ، ذلك أنهم أغلقوا باب الاجتهاد في الدين ، ليفرضوا رأي قرن على سائر القرون . فحجروا بذلك على العقول ، وحجروا عليها لما كسبت على الزمان الرجحان ، واتسع أفقها بالعلم، واجتمع عندها الكثير من الخبرة ومحاصيل الأجيال

على أن الحرية الدينية أصبحت في أغلب أمم الأرض اليوم عادة تكاد أن تكون شائعة . وما كان ذلك عن رحابة ، ولكن عن قلة خطر الأديان عند من بيده سلطان الحظر والإباحة . وقام مقام الحجر على الحرية الدينية الحجر على الحرية السياسية . وأخيراً جاء الحجر على الحرية الاقتصادية ، فهي اليوم أشد أنواع الحريات كراهة إلى ذوي الحكومة والسلطان. ولقد تميز العصر الحديث بقيام دكتاتوريات من صنوف وأنواع ، كان أول شيء خشيته فأهدرته ، حرية الرأي ، يجهر بها الفرد أو تجهر بها الصحافة ، وهي اللسان الذي إذا قال استمعت له ألوف الألوف من الآذان

والرأي العربي يقف من حرية الرأي موقف المظلوم الذي كلما نطق قيل له الخير في السكوت . ومن أمم العرب اليوم ، أمم لا يستطيع بها الرجل المواطن أن يقول إلا همساً . ومنها أمم أكثر مجالا في القول ، ولكن بها الساسة أحرص ما يكونون على حرية القول وهم في ممارضة ، فإذا ولوا الحكم فتلوا الحبل الذي يلتف على أعناقهم عندما يعودون فيعارضون

إن حرية الرأى والجهر به ، كسائر الحريات ، لابد لها من تحديد وتنظيم ، وإلا كان منها الجور من الفرد على الفرد . ولكن الجهر بالرأى فيما يمس حقوق الناس عامة حق من حقوق الشعب لا مماراة فيه ولا مهادنة . وبهذا يأخذ الفكر العربى ، فيعطى أكبر مجال ، ولا يقف بها إلا حيث يختل الأمن وتهدر الأرواح

المدنية والمساواة .

إن المعانى الإنسانية ، مثل الناس ، بينها أواصر وأرحام ، والمعانى التى تتصل بالتحرير يولد بعضها بعضا ، ويأخذ بعضها عند الذكر برقاب بعض . وكذلك المعانى التى تتصل بتقييد الحرية ونفى الإرادات الإنسانية ، يولد بعضها بعضا ، ويأخذ بعضها برقاب بعض

والمساواة معنى نشأ مع الزمرة الصالحة من المعانى . فنشأ مع الديمقراطية ، ونشأ مع الحرية الفكرية ، إذ ما كان يعقل أن يكون حكم الشعب بالشعب ممكنا إلا أن تكون مساواة فى الحقوق السياسية . وما كانت حرية الفكر ممكنة إلا أن تكون مساواة فى الحرية الفكرية، ومن هذين هدفت فكرة المساواة بين الناس إلى كل شىء من شؤون الحياة

وإذا نحن نظرنا إلى الوراء البعيد والوراء القريب ، وجدنا أمما قام مجتمعها على الطبقات ، أعاليها الأشراف ، وأسافلها الأنجاس أو أشباه الأنجاس ، وأمما أخرى كانت المساواة فيها مساواة عند الله لا عند الناس ، وأمما أخرى كانت المساواة فيها أملا تحقق أقله وأهدر أكثره ، ثم ذهبت الأيام بالبقية الباقية منه . والمدنية الحاضرة لها معان فى المساواة جميلة ؛ إلا أنها لا تزيد جمالا على معانى القدماء ، ولا عن معان جليلة جاءت بها الأديان . ولكن الفرق واسع بين المعنى الجميل يسكن صدرك ، والمعنى الجميل تجعل منه أسلوبا قائما من أساليب العيش

وفضل المدنية الحاضرة على أكثر المدنيات الغابرة أنها فصلت ما كان قد أجمل ، وأنها خلقت وابتكرت لتنفيذ معنى المساواة أساليب . وسأفصل بإيجاز هذا . ولكن لا ضرر من أن أسبق فأقول ، إن المدنية الحاضرة لم تبلغ فى المساواة بين الناس الغاية ، ولا اقتربت منها ، ولكن خطت إليها الكثير الواسع من الخطوات

المساواة أمام القانون .

وأول المساواة المساواة أمام القانون . وهى لا يمكن أن تكون فى أمة والحكم فيها مطلق . ذلك أن الحكم المطلق يقوم به رجل له بطانة تسنده . والبطانة لها ثمن ، والسند له ثمن . وهى بطانة وهو سند أكثر ما يكون للشيطان ، فهو أفدح غنما . والقانون الذى يثغر مرة يثغر مرارا ، ثم يكون كالثوب الذى تهلهل حتى ما تنفع فيه الرقع . والشعوب عانت فى دفاعها عن القانون من نفوذ ذوى الإمرة وذوى المال عناء كبيرا . وقد قضت المدنية ، حيث توجد مزدهرة ، على نفوذ ذوى الإمرة . يقف رجل البوليس السيارة فى الطريق ، وقد اندفعت بما لا يريد لها القانون من سرعة ، فيقضى بغرامة صاحبها . فيحتج هذا بمكانة له أوجاه ، فيبتسم البوليس الصغير الفقير ، وترتفع الغرامة ضعفا أو أضعافا . ولم يستطع القانون بعد أن يقضى على نفوذ المال . ومن بعض أسباب ذلك أن استصراخ القانون نفسه يحتاج إلى المال .

والمساواة فى العدالة تحتاج مع القانون إلى رجال ينفذونه وينقذونه . وهؤلاء أعز مطلبا . من أجل هذا كان الدفاع عن استقلال القضاة بضروب الحمايات ، وكان الحق فى رد القاضى إذا اتصلت به ريبة ، وكان نظام المحلفين زعما بأن الكثرة أعسر أن يتطرق إليها الفساد

وما أحوج أمم الشرق إلى بعض ما وصلت إليه أمم الغرب من مساواة أمام القانون !

البقية فى العدد القادم

أحمد زكى

٦ – الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

من ٩ – ١٥ نوفمبر ١٩٥١ :

مسجد وكنيسة :

فقد البريطانيون صوابهم وطاشت عقولهم ، فأمعنوا فى الإثم والعدوان . لم يكفهم قتل العزل الأبرياء من الرجال والأطفال والنساء؛ ولم يكفهم الاعتداء على المنازل والحرمات ومصادرة الأملاك والاستيلاء على أقوات الشعب . لم يكفهم هذا كله فأضافوا إثما ليس هناك أفظع منه، وجريمة ليس بعدها إجرام إذ اعتدوا على بيوت الله :

فى ٨ نوفمبر اقتحمت قوة مسلحة بريطانية مسجد نفيشة وجعلوا يطأون بنعالهم فرشه الطاهر المعد للصلاة ثم جمعوه وحملوه إلى قطارهم الحربى بعد ما ارتكبوا من الأعمال المنكرة ماتستنكره أخس النفوس إغراقا فى الإجرام والوحشية

وفى يوم الأحد ١١ نوفمبر قامت قوة بريطانية مسلحة بمهاجمة الكنيسة المسيحية بشارع الإسكندرية أثناء الصلاة واعتدوا على من فيها، ولم يكتفوا بذلك بل تربصوا بالمصلين فلما خرجوا بعد صلاتهم انهالوا عليهم بالضرب وراحوا يطاردونهم فى الشوارع

وهكذا لم تبق هناك جريمة إلا ارتكبها الإنجليز فى منطقة القنال

عزبة فاروق وفايد :

وعزبة فاروق هذه منطقة من مدينة الإسماعيلية وقد طلب الإنجليز إخلاءها من سكانها لأنها مثار قلق نظرا إلى موقعها المواجه للمعسكرات البريطانية والخوف من أن تتخذها كتائب التحرير وكرا تثب منها على القوات البريطانية ، ولكن السلطات المصرية رفضت إرغام الأهالى على إخلاء العزبة فقامت قوة بريطانية فى ١٢ نوفمبر بمحاصرة العزبة وطرد سكانها منها. وهكذا يكون احترام البريطانيين للحريات وللملكيات

وفى فايد قام الإنجليز بهدم أربعة آلاف منزل من منازل العمال المصريين . ولعلهم يحسبون انهم بقيامهم بهذه الأعمال الإجرامية يطيلون بقاءهم بمصر . ألا فليعلموا أن كل جريمة يرتكبونها إنما هى مسمار فى نعش الإحتلال

كتائب التحرير :

قوات قليلة العدد والمدد ، ليست مزودة بالأسلحة، ولكنها مع هذا تقلق بال الإنجليز وتشغل أذهانهم . يرهبونها إذا أقبل الليل لأنهم إذا ناموا فإن « شياطين الليل » و « الفرق الخفيفة » لا تنام ، وإذا أقبل النهار لم يستطع الاطمئنان أن يصل إلى قلوب الإنجليز المسلحين فإن رجال الكتائب لا يغفلون . إن كتائب التحرير مزودة بسلاح أقوى من جميع الأسلحة . إنه سلاح الإيمان !

وفى ليلة ١٣ نوفمبر هاجم ثلاثة من الفدائيين بعض المعسكرات المجاورة للسويس ونسفوا وابوراً المياه فأطلق عليهم الإنجليز نيرانهم وسقط أحدهم شهيدا هو محمد إبراهيم جعفر ، فإلى جنة الخلد :

لبيك يا مصر :

العرب أمة واحدة وجسم واحد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ومصر قلب العروبة النابض تناضل المثل الأجنبى ، والغاصب البريطانى ، ويلق أبناؤها من مسلمين ومسيحيين أذى وتعذيبا. وهم فى كفاحهم صابرون، ولما يلقون من عنت مستعذبون ، وقد وقف العرب جميعا بجانب مصر فى محنتها :

ففى سوريا سقطت وزارة حسن الحكيم ، أسقطها الشعب لأن رئيسها كان يريد أن يقبل مشروع الدفاع الذى عرضته عليه إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتركيا ، وقد بلغ من غضب الشعب السورى أن حسن الحكيم اضطر إلى حبس نفسه فى داخل

منزله خوفا على حياته

وأما المملكة العربية السعودية فقد أعلنت أنها لا تستطيع دراسة أى مقترحات للدفاع عن الشرق الأوسط قبل أن تجاب مصر إلى مطالبها كاملة

وأما لبنان فقد أرسلت حكومتها إلى مصر مذكرة تؤيد فيها موقف مصر إزاء بريطانيا ، وقد اتخذ البرلمان اللبنانى كذلك قرارا بتأييد مصر

واليمن أرسلت مذكرات ثلاث إلى القاهرة تؤيد مصر تأييدا مطلقا

وأما العراق فقد أرسل رئيس وزرائها إلى ممثلى حكومات إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتركيا مذكرة هذا نصها :

« إن الحالة الراهنة فى مصر والقلق الذى يسود المصريين وارتقاب العرب فى أقطارهم مايجرى فى البلد الشقيق ومشاركتهم شعور إخوانهم سيؤدى إلى مشاكل فى الشرق الأوسط ليست فى مصلحة شعوبه ولا تحفظ الأمن والسلام الدولى فى هذا الركن من العالم ؛ فلا بد من النظر فى المطالب المصرية وحسم قضيتها بما يضمن حقوق مصر وسيادتها الكاملة ، إذ سيتعذر فى الجو الذى يسود البلاد العربية الآن البحث فى المقترحات الخاصة بميثاق الدفاع عن الشرق الأوسط ؛ فلا بد من حل الأزمة المصرية البريطانية قبل ذلك . على أن البت فى المقترحات يحتم التشاور مع البلاد العربية !!

وكذلك وقفت الهند والباكستان تؤيدان مصر فأعلنتا بلسان صحافتهما « أن استمرار وجود البريطانيين فى منطقة قناة السويس وفى السودان هو فى نظر المصريين اعتداء وأى اعتداء » وأن « بريطانيا باستخدامها قواها المسلحة قد ارتكبت خطأ فاحشا قد يكلفها فقدان البقية الباقية من نفوذها المضمحل فى الشرق »

١٣ نوفمبر ١٩٥١ :

احتفلت مصر بعيد الجهاد الوطنى من أقصاها إلى أقصاها : ففى الإسكندرية قامت مظاهرة صامتة اشتركت فيها جميع الهيئات والطبقات ، وكان عدد المشتركين يزيدون عن ربع مليون نسمة من رجال وسيدات ، وكان المتظاهرون يحملون لافتات تعبر عن مشاعرهم الوطنية وعزمهم الوطيد على الجهاد والتضحية فى سبيل إخراج المحتلين الغاصبين من أرض وادى النيل

وفى القاهرة احتفلت الأحزاب جميعا بعيد الجهاد : فأعلن الوفد المصرى بلسان رئيسه رفعة مصطفى النحاس باشا استمساكه باستقلال وادى النيل وحريته وجلاء الغاصب عن أرض الوطن بجيشه المحتل ، ووحدة الوادى تحت تاج الفاروق المفدى ، وأن مصر قد أقدمت على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وهى تعلم أن فى وسع الإنجليز أن يعتدوا وأن يرتكبوا ما ارتكبوه من إثم ومناكر ، ولكنا مؤمنون مع هذا بأن للحرية ثمنا يجب أن ندفعه وفدية لا بد من تقديمها « ودعا الشعب إلى الكفاح » فالكفاح الكفاح ، والجلاء الجلاء ، والصبر الصبر ، والمقاومة المقاومة ، فلا تردد بعد اليوم ولا مسالمة ، ولكن إقدام دون إحجام ، إلى الأمام إلى الأمام »

واحتفل مكرم عبيد باشا بعيد الثورة فألقى خطابا رائعا اختتمها بقوله « نحن إخوان بلادا ، ولكن الأخوة الحقة هى التى تجمعنا اليوم جهادا ، وقد تجمعنا غدا استشهادا ، وإذا ذكرتم فاذكروا على الدوام الدرس الذى علمتنا إياه الثورة ، وهو أن النار التى تحرق ، هى النور الذى يشرق ، فليزدهم الشيطان نارا وفجورا ، ليزيدنا الله فوق نورنا نورا »

واحتفل الأحرار الدستوريون بعيد الجهاد ، وأعلن رئيسهم الدكتور محمد حسين هيكل باشا تأييده للحكومة فى موقفها قائلا : « فليطمئن الشعب والوطن على الاستهانة بكل تضحية .. وأن الوقف بعد إلغاء المعاهدة أجل من أن تثار فيه الخلافات .. وأن الوزارة هى المسئولة فيجب أن ننفذ أوامرها جميعا لمصلحة البلاد »

وهكذا تجلت وحدة الشعب المصرى فى وقوفه أمام الناصب الأجنبى ، وأن هذه الوحدة الرائعة ستكون العامل الأكبر فى انتهاء الاحتلال وتحقيق وحدة وادى النيل إن شاء الله

١٤ نوفمبر ١٩٥١ :

إذا كان يوم ١٣ نوفمبر هو عيد الجهاد فإن يوم ١٤ نوفمبر هو عيد الشهداء ، وقد احتفلت به مصر فى هذا العام فكان احتفالها بأروع احتفال . لقد سجل التاريخ هذا اليوم من أيام مصر فى أبرز صفحاته

أرادت مصر أن تحيى ذكرى شهدائها الأبرار فقررت القيام بمظاهرة صامتة يشترك فيها المواطنون على اختلاف طبقاتهم وهيئاتهم وأحزابهم . ومنذ الصباح الباكر أخذ طوفان من البشر يتجمع فى ميدان الإسماعيلية ليشترك فى هذه المظاهرة ، وقد بلغ عدد من سار فى المظاهرة نحو مليون نسمة ، ومن شهدها نحو مليون آخر ، فكانت أكبر مظاهرة شهدتها مصر

وقد كانت هذه المظاهرة استفتاء صادقا لشعب مصر ؛ وواقعا ملموسا تراه العيون وتبصره وتلمسه وتحسه . وزاد فى روعة المظاهرة اشتراك المصريين جميعا فيها ، إن لم يكن بأجسامهم فبأرواحهم وقلوبهم ، وكذلك اشتراك الزعماء ووقوفهم صفا واحدا : مصطفى النحاس . مكرم عبيد . محمد حسين هيكل ، وغيرهم

وكذلك كان سير شيخ الجامع الأزهر بجوار غبطة البطريرك والعلماء ورجال الدين المسلمين والمسيحيين ، دليلا ماديا على وحدة شعب وادى النيل

وقد كانت المظاهرة صامتة ومع هذا فقد كان صمتها أقوى من قصف المدافع ، وكانت اللافتات التى يحملها المتظاهرون تعبر فى صدق عما تجيش به صدور شعب من معان وأمانى ، كان من بين هذه اللافتات ما يقول :

إرادة الشعب تسحق الاستعمار — ماء النيل حرام على الإنجليز — العرب أمة واحدة — الوادى صف واحد ضد الغاصب — النيل سيف على رقاب الإنجليز ، هذا فى مصر ؛ ولكنى أحب أن أثبت أيضا أن الأقطار الشقيقة قد احتفلت بيوم الشهداء احتفالا رائعا أيضا ؛ فعطلت المتاجر وقامت المظاهرات فى دمشق وفى بغداد وفى بيروت وفى سائر البلاد العربية ، وكلها تعلن تأييدها لمصر . إن هذا اليوم لم يكن يوم مصر فقط ؛ ولكنه كان يوم المروءة الصادقة

حيا الله العرب !

٩ مارس ١٩١٩ :

اعتقل سعد وأصحابه فى ٨ مارس فسرى نبأ اعتقالهم فى البلاد سريان البرق فشبت نيران الثورة المصرية ١٩١٩

بدأت الثورة بمظاهرات سلمية قامت فى القاهرة نظمها بعض طلبة المدارس والأزهر الشريف ، فأخذوا يطوفون الأحياء وكانوا يسيرون بكل نظام تتقدمهم الأعلام المصرية منادين بحياة مصر والحرية ، وبسقوط الحماية وطلب إعادة المنفيين

وقد تصدى رجال البوليس للمظاهرة وفرقوا شملها وقبضوا على ٣٠٠ طالب وحبسوهم بالمحافظة ، ونقلوهم ليلا إلى القلعة كان يوم ٩ مارس إذن بدء الثورة

وفى ١٠ مارس أضرب جميع طلبة المدارس الثانوية والعالية وطلبة الأزهر عن تلقى دروسهم وأعلنوا الإضراب العام وألفوا مظاهرة كبرى وشاركهم فيها أفراد الشعب ، وقد سار الجميع فى روعة ومهابة ينتقلون من شارع إلى شارع ، مارين بدور المعتمدين السياسيين ، هاتفين بحياة مصر وحريتها واستقلالها ومنادين بسقوط الحماية

وقد حدث من بعض المتظاهرين اعتداء على قطر الترام وعلى بعض المحلات المجاورة للجانب وعلى بعض مصابيح الشوارع . وقد أدى هذا إلى استياء الطلبة فأذاعوا على مواطنيهم نداء طلبوا منهم فيه الإقلاع عن هذا العدوان ؛ وأبدوا أسفهم لما حدث

وقد سقط فى هذا اليوم أول شهيد فى الثورة .. سقط نتيجة

لطلقات نارية أطلقها الجند الإنجليز على المتظاهرين

وفى ١١ مارس استمر إضراب الطلبة وأضرب عمال الترام وسائقو السيارات بل والحوذية، فتعطلت المواصلات فى سائر أنحاء القاهرة، وأغلق التجار متاجرهم وتجددت المظاهرات وكثرت فى جميع أنحاء المدينة

وأصدر القائد العام للقوات البريطانية قرارا بمنع المظاهرات « وكل شخص يخالف هذا الأمر يحاكم بصفة مستعجلة . »

وتعقب الجند الإنجليز المتظاهرين وأطلقوا عليهم النار، وكان أول اصطدام بين الفريقين فوق جسر شبرا وفى شارع عماد الدين

على أن هذا العدوان لم يزد المتظاهرين إلا ثباتا وحماسا، وكان أروع ماشوهد فى هذه المصادمات أنه كان إذا سقط حامل العلم فى مقدمة الموكب مضرجا بدمائه برصاص الإنجليز تقدم من خلفه طالب وتسلم العلم من يد القتيل مناديا بأعلى صوته : « ليحى الوطن ! لتحيى مصر ! نموت وتحيا مصر ! » فيردد إخوانه هذا النداء؛ وكان هتافهم يدوى فى عنان السماء فتخر له القلوب سجدا وينهمر الدمع تأثرا

وكان ثبات الطلبة وتضحياتهم فى سبيل الوطن مثلا من أروع الأمثلة ودليلا من أقوى الأدلة على حب المصرى لوطنه واستعذابه للتضحية فى سبيله . كان آخر هتاف للشهداء « نموت وتحيا مصر . » كان الضحايا يسقطون ولكن المظاهرة تستمر فى سيرها ولا تلق بالا إلى العدو ولا تهتم برصاصه، وهكذا يكون الثبات وتكون التضحية . وقد سقط فى هذا اليوم ستة من الشهداء حسب بلاغ السلطة، وكان عدد المصابين واحدا وثلاثين منهم ٢٢ إصابة بنيران البنادق

وفى هذا اليوم ١١ مارس أضرب المحامون عن مزاولة أعمالهم بناء على قرار أصدره مجلس نقابتهم

ورغم إنذار السلطة ورغم استخدام القوة الناشئة ضد المتظاهرين ظلت المظاهرات قائمة : فقامت مظاهرات فى يومى ١٣ و ١٤ مارس فى أنحاء القاهرة المختلفة : فى الحلمية والنورية والظاهر وشبرا والأزهر

وفى يوم الجمعة ١٤ مارس تجددت المظاهرات وتجدد اعتداء الجنود الإنجليز على المتظاهرين، وكان أكبر العدوان فظاعة ماوقع فى حى الحسين ، فبينما كان المصلون خارجين من مسجد الحسين جاءت سيارتان مدرعتان وأطلقتا النيران على المصلين من غير تحقيق أو إنذار ، وبلغ عدد القتلى اثنى عشر قتيلا، وأما الجرحى فبلغ عددهم أربعا وعشرين

ووقعت مظاهرتان أخريان فى شارع الملكة وفى حى السيدة زينب، وقتل فيهما ثلاثة عشر قتيلا وجرح سبعة وعشرون

وهكذا نجد قصة الاحتلال فى مصر . عدوان فى عدوان، وإثم فى إثم، ودماء تسفك دون ذنب

أبو الفتوح عطيفة

المجد العلمي

كلمة حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف في الاحتفال الذي أقيم يوم الخميس ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ بوزارة المعارف ، لمنح الدكتوراه الفخرية في القانون لزعيم إيران الدكتور محمد مصدق من جامعة فؤاد الأول

سيدي صاحب الدولة الرئيس

يسعدني أن أستقبلك في هذا المكان باسم جامعة فؤاد الأول ويسعدني أن أستقبلك عضوا في جامعتنا ، فقد شرفت جامعتنا بانضمامك إليها . لأنك خليق أن تشرف كل هيئة تنضم إليها لأشياء كثيرة

أولها أنك تمثل الشعب الإيراني العظيم ، وللشعب الإيراني العظيم مكانته الممتازة بين الشعوب ، فهو من هذه الشعوب القليلة جدا التي استطاعت أن تقهر الزمان وأن تقهر التاريخ . كان لها حظها من تشييد الحضارة حتى بلغت من ذلك أرفع درجات المجد . ثم كان لها حظها من مقاومة الخطوب حتى أصبحت مثلا يضرب للشعوب الحديثة . اختلفت عليها الخطوب الخطيرة الشديدة، وتعاقبت عليها المحن المهلكة المضنية ، ولكنها صبرت وصابرت، وثبتت وقاومت وانتصرت آخر الأمر على كل خطب، وتغلبت آخر الأمر على كل صعوبة، وذللت آخر الأمر كل عقبة ، واستردت سيادتها في قوة وعظمة ومجد خليقة بالفخر والإكبار

هذه الشعوب التي قاومت وانتصرت وقهرت التاريخ قليلة؛ أذكر منها شعبك العظيم، وأذكر منها شعبنا هذا المصري الذي تشرفه بزيارتك في وقت من أشد أوقاته خطورة وصعوبة . فلو لم يكن بين شعبك وشعبنا إلا هذه الخصلة خصلة الصبر والاحتمال والمقاومة والظفر والانتصار آخر الأمر، لكنت خليقا أن تشرفنا بانضمامك إلى أسرتنا. ثم إنك تمثل هذا الشعب الإيراني العظيم الذي شارك بأعظم قسط ممكن في تشييد الحضارة حتى حار المؤرخون أي الشعبين أعظم خطرا في تكوين هذه الحضارة.. أهو الشعب العربي الذي أهدى إلى العالم لغته العربية ، وبشر العالم بالدين الإسلامي الحنيف ؟ أم هو الشعب الإيراني الذي تلقى هذه الهدية فتقبلها راضيا مسرورا ، ورعاها مجاهدا في سبيل تنميتها والدفاع عنها، حتى كان هذان الشعبان العظيمان صاحبي الفضل الأول في تأسيس هذه الحضارة وبناء مجدها . فلو لم يكن لشعبك إلا هذا الفضل ؛ فضل المشاركة الخطيرة في تشييد الحضارة الإسلامية وخدمة اللغة العربية ونشر هذه الحضارة واللغة، لكان ممثله خليقا أن ينضم إلينا في أسرتنا الجامعية فيضيف إلينا شرفا ومجدا . ثم إن انضمامك إلينا يشرفنا لأن شخصك خليق أن يشرف كل من ينضم إليه ، شخصك يمثل الجهاد في أروع صوره وأقوى مظاهره ، يمثل الجهاد في سبيل مجد الوطن ، وفي سبيل حريته واستكمال سيادته ، ويمثل جهاد النفس في سبيل التغلب على المصاعب ، وقهر المشقات ، وتذليل العقبات ، وتيسير ما لم يكن سبيل إلى تيسيره لولا هذه الإرادة القوية التي تستمد من إرادة الشعب الإيراني، والتي لا تعرف قهرا ولا خضوعا للخطوب . إنك يا سيدي الرئيس قد تعلمت في إيران ثم سافرت إلى أوروبا فدرست في فرنسا ، ثم عدت إلى إيران، ثم سافرت إلى أوروبا فتخرجت في سويسرا، ثم عدت إلى إيران، وفي كل هذه الرحلات كنت تقاوم الأعباء والجهد، وكنت تقاوم مصاعب الحياة. ثم إنك لم تطمئن إلى ما حصلت من علم ، ولم تقنع بما أدركت من مجد، ولكنك تركت العمل الرسمي لاستئناف الدرس في بعض أوقات الشباب . ثم لم يكفك هذا كله ولكنك أبيت إلا أن تكون صورة ناطقة لشعب حر ، فقاومت البغي والطغيان ، وأبيت أن تذعن للاستبداد مهما يكن مظهره ومهما تكن صورته . واحتملت في ذلك آلام النفي كما احتملت في ذلك آلام السجن كما احتملت في ذلك العزلة القاسية المضنية . والشعب في أثناء ذلك ينظر إليك، محبا لك عطوفا عليك، مكبرا لجهادك ومقاومتك . وها أنت هذا الآن وقد ارتقيت إلى أرفع منصب من مناصب وطنك، تنطق باسم الوطن وترفع صوته عاليا يملأ الدنيا بكلمة واحدة هي التي تشرف بها الشعوب الحرة الأبية ، وهي التي تفرض على الدنيا احترام هذه الشعوب الحرة الأبية ،

الأدب وطلقات المدافع!

« إلى صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن »

للأستاذ على متولى صلاح

من أبعد الأشياء عن الصواب أن نفهم الأدب على أنه كلام! وأن نفهمه على أنه مواكب ألفاظ رنانة جميلة، ومعارض بلاغة تأخذ بالسمع وتخلب اللب، ويرقص لها الإنسان كما يرقص الزنوج — مثلا — على دقات الطبول!

ذلك فهم للأدب بعيد عن الصواب أكثر من البعد الذى بين المشرقين! وقد نسمعه من بعض الجاهلين فلا نلتفت إليه، أو نسمعه من غير رجال الأدب فنعده من باب الخطأ فى فهم شئ لم يحذقوه ولم يدرسوه.. أما نسمعه من رجال الأدب أنفسهم الذين قضوا فى الأدب حياتهم، والذين نالوا حظا من دراسة الأدب وفهمه، ومارسوه ممارسة عملية طوال حياتهم، فذلك خطر على الأدب شديد، وذلك انحراف بالأدب عن منهجه الصحيح القويم، أو هى نكسة بالأدب إلى الوراء يوم كان سداه ولحمته اللفظ ولا شئ سوى اللفظ!

والذى يقرأ ما كتبه صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد الفائت من مجلة « الرسالة » عن المفاضلة بين « السلاح الصوال » وبين « اللسان القوال » لا يحسب مثل هذا الكلام يصدر إلا عن أحد اثنين: إما جاهل بطبيعة الأدب ووظيفته ومدى اتصاله بالحياة، وأنا أعيذ الأستاذ الصديق أن يكون ذلك الرجل. وإما عدو للأدب متحامل عليه ويحرف الكلم فى وصفه عمدا لينال من مكانته، وليس الأستاذ الصديق ذلك الرجل بطبيعة الحال!

يقول الأستاذ « ...ولكنى أرجو أن تحمد فى أمتنا الأفعال لا الأقوال » ويقول « فنحن اليوم إلى سلاح صوال، أحوج

وهذه الكلمة هى كلمة « لا ». قلتها للقوة الضخمة التى لم تتعود أن تسمع هذه الكلمة.. قلتها وأصررت عليها واضطرت القوة الضخمة لأن تسمع لها إذعانا. فنصرت شعبك الذى تعود النصر وأضفت إلى صفحاته الخالدة صفحة جديدة. فمن الحق أن نشرف بأن نضمك إلى أسرتنا الجامعية من أجل هذا كله

ولكننا قوم لا نتأثر بالمجد السياسى وحده، نحبه ونكبره ولكنا نحب قبل كل شئ شيئا آخر هو هذا المجد العلمى. وأنت يا سيدى الرئيس عالم قبل أن تكون سياسيا. درست السياسة والفقه الحديث فى أوربا، ودرست العلوم الحديثة المختلفة فى وطنك، ولم تضع عزلتك ولا عملك فى السياسة وحدها؛ ولكنك شاركت فى العلم على اختلافه.. شاركت فى العلم القديم وشاركت فى العلم الحديث. ألست قد ألفت فى اللغة الفرنسية كتابا عن الوصية على مذهب الشيعة؟ فقد ألفت إذن كتابا فى الفقه الإسلامى القديم. ثم إنك قد ألفت فى الفقه الدستورى المقارن؛ قارنت بين الفقه الدستورى الغربى فى أوربا وبين الفقه الدستورى الحديث فى إيران. ثم ألفت فى الفقه المالى فقارنت بين التشريع المالى الحديث فى أوربا وبين التشريع المالى فى إيران، ثم شاركت فى الفقه القانونى عامة فألفت فى تبعات الموظفين أثناء تأدية وظائفهم، وألفت فى الشركات المساهمة، وألفت فى مبدأ تسليم المجرمين السياسيين. فأنت فقيه قديم، وأنت فقيه مدنى، وأنت فقيه سياسى إدارى. فإذا جمع شخص من الأشخاص علم الفقه على اختلاف عصوره ومعانيه ومذاهبه وأنواعه إلى هذا الجهد السياسى الضخم وإلى هذه المقاومة السياسية الهائلة.. كانت جامعة فؤاد الأول التى أنشأها فؤاد العظيم لتضرب أرفع المثل لأبناء مصر فيما يرفع الحضارة ويعلى شأنها، وينشر الأخلاق ويحببها إلى الشعوب، ويحبب إلى الشباب البحث العلمى، كانت هذه الجامعة خليقة أن تشرف بضمك إليها.. سعيدة بأن تمدك اليوم أحد أعضاء أسرتها

طه حسين

منا إلى لسان قوال » ، ويقول :

هذه الأقوال لا تحمى شهيدا ... من ضحايا الحق، أو تشفى أواما
أطلقوا المدفع . . . لا حنجرة ... وارجعوا للسيف فى الحق احتكاما

ويقول :

لا تردوا عنكم غدر الأعادى ... بالعبارات نثارا ونظاما ...
الكلام اليوم لا يحمى حقوقا ... والبيان اليوم لا يرعى ذماما ..

وهذه دعوى خطيرة جدا على الأدب ، ويزيد خطورتها هنا أنها صادرة عن أديب !

فالأدب ليس كلاما لا طائل وراءه ولا نفع فيه ، لأنه لا يحمى شهيدا ولا يرد غدرا ولا يحمى حقوقا ولا يرعى ذماما ، بل إن الأدب يصنع كل ذلك وأكثر جدا من ذلك. والكلمات كما يقول هازلت : « إنما هى أفعال فإذا تكلمت فقد فعلت ! » والكلمات — كما يقول جان بول سارتر زعيم الوجودية — هى « أسلحة نارية مشحونة بالقذائف، وأن الإنسان إذا تكلم فقد أطلق ! » وليست الكلمات — كما يقول سارتر أيضا — « نوعا من النسيم يتوهمه أصحاب نظرية الأسلوب البحت يجرى على سطح الأشياء فيمسها مسا خفيفا دون أن يغير شيئا فيها » وأنا أسأل الأستاذ لماذا يكتب الكاتب ؟ أيكتب ليسجل خواطره الخاصة لنفسه حتى يمكنه استعادتها كلما عن له ذلك ؟ لو كان الأمر كذلك لكفاه أن يخط بضع ملاحظات سريعة على الورقة يسترجع بها خواطره المستقرة فى أعماق نفسه كما شاء ! لأنه سيذكر هذه الخواطر فى يسر وسهولة كلما رجع إلى هذه الملاحظات السريعة ، ولكن هذه الملاحظات السريعة ليست من الأدب فى شىء ، فلماذا إذن يكتب الأدباء ؟

إن الأدباء يكتبون ليدعوا القراء — والقراء هم الحياة — إلى عمل من الأعمال ؛ وليهيجوا فى نفوسهم عاطفة من العواطف ، وليؤججوا فى قلوبهم الحقد والكراهية — مثلا — للأعداء ، والحب والمودة للأصدقاء ، والحقد والكراهية يؤديان بصاحبهما إلى عمل ، والحب والمودة يؤديان بصاحبهما إلى عمل آخر ! ألم تر إلى العرب الأقدمين كيف كانت القبيلة منهم تقيم الأفراح إذا ظهر فيها شاعر ! لأن الشاعر فى اعتبارهم هو حامى الذمار ، والمدافع عن شرف القبيلة ، والمتصدى بلسانه للأعداء ؟ ألم تر إلى الأوربيين كيف ماتت فيهم اليوم فكرة الفن للفن l'art pour l'art — مع أن الأدب عند أصحاب هذه النظرية ليس كلمات وألفاظا فقط ؟ بل إنه ذلك وأشياء أخرى غير ذلك ! — ماتت هذه الفكرة عند الأوربيين اليوم ، وأصبحت كلمة « الفن للفن » عندهم — وهى ما يطلقون عليها « الفن الخالص » — مرادفة تماما لكلمة « الفن الفارغ » !!

إن الأدب يا سيدى هو كل شىء فى الحياة الآن ، أو على الأصح ، هو أصل كل شىء الآن ، وعلى هذا الأساس يحمل مارتز الأدباء مسئولية ما يوجد فى الحياة من رذيلة وقبح واستعباد وظلم واستغلال وما إلى ذلك ، ويجعلهم أول المسئولين عن جميع هذه المفاسد قبل كل إنسان آخر ؛ لأنهم الموجهون للدولة، والمرشدون للناس ، والكاشفون للسوء ، والدالون على الخير ، والمنبهون إلى الشر ، والفاضحون الأشرار ، والمادحون الأخيار ، والمنشطون عزائم الناس ، والمستحثوهم على الذود عن الوطن ، والمستنفروهم إلى الحرب والضرب والدفاع عن بلادهم ...

يقول برنارد شو : « كان الإنسان فى الأزمان الغابرة سلاحه السيف ، وظل هذا السيف يصغر ويصغر حتى ظهر القلم ! »

أما الدعاية وقوة تأثيرها واعتبار الدول لها الآن فى المحل الأول من الأهمية فى الحرب والسلم على السواء ، فعندى أن الحديث فى ذلك معاد مكرور لأنه لا يخفى على إنسان

إن الكلام يا سيدى ليس بهذا الهوان والضعف الذى وصفته به وأنت الأديب القوال ! إنه شىء أحظى جدا من هذا وأبعد أثرا فى الحياة من هذا !

وحيا الله الأستاذ العقاد حيث يقول هذا البيت الحكيم : —

ما دام فى الكون شىء للحياة يرى ... ففى صحائفه للشعر ديوان

على متولى صلاح

شذرات في الحياة :

١ – عبقرية الكذب !

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

أقبل صاحبي وعلى وجهه تجهم الغضبة ، وتكشر الوثبة ؛

فقلت : حسبك ! ، ماذا دهاك ؟

قال : أحسبك تمعق فى التحليل كعادتك ، حتى يكاد التكلف يلحق بتفكيرك

قلت إنى أكلف بالمعرفة ، وأبغض التكلف ، ويشغفنى إحالة المظهر الى المنطق، فإذا كنت مغيظاً، سأكون دائماً غائظك !

قال : مادمت تحلل نفسية الكاذب ، فلا أجد حبيباً إلى قلبى سوى إغاظتك لى !

قلت : وما الإصر الذى أثقل نفسك حتى جعلك مثقلا بالهموم ؟

قال : إن الكذوب يسخر منى ، ويحسبنى فى غفلة !

قلت : فى مقدورك أن تحيله إلى غفلته ؛ فيكون هو المغفل !

قال : هأنت ذا تعمد إلى الإبهام حتى تغمض عين أسلوبك!

قلت : ليس ثمة غموض ولا إغماض ؛ فالأمر أيسر من أن علاً به تفكيرك السليم ؛ فالكذب « تعمية » ، ولا يعمى الأمور سوى الضعيف المتهافت على الخداع ، لأنه يرى فى أعماقه « غموضاً » ، ويخشى أن ينكشف هذا الغموض الذى يستقل به إحساسه . فما أشبهه بالتلصص الذى يريد السرقة على ضوء مصباحه ، لأنه يسرق نفسه ، ويغش حسه ، فى حين يعتقد أنه موهم وهو واهم !

قال : أغريزة الكذب ؟ أم خليقة مصنوعة ؟

قلت : لقد قرأت هذه ، لكن لم يرضنى ما قرأت . وليس ذلك غرورا ؛ فإن المنطق أساس المعرفة فى عقدى ، والكاتبون لم يطلوا إلا من نوافذ نفسية ضيقة محيلين الواقع إلى الافتراض، والتخيل ، والوهم ، مع أن الحقائق الإنسانية يمكن استقاؤها من أسلوب السلوك ، والكذب مظهر من مظاهره ؛ فلا بد أن يكون هناك ارتباط بين حياة الكاذب وطبيعة إعداده ، وتكوينه ، وتنشئته ، والحياة لم تمنح الأفراد منحها على غرار واحد ؛ فنشأ « الحرمان » الذى يوجد فى النفوس المحرومة ثغرات تتسع كلما تقدمت الأيام بهذه النفوس ؛ والمنطق الطبعى يجعل سلوك المحرومين ذا شذوذ نؤاخذه عليهم فى الوقت الذى نغضى فيه ولا نؤاخذ أنفسنا عليه

قال : أتظن « الكذب » قدرا مشتركا بين الأفراد ؟

قلت : لا أقول مقولى على الإطلاق ، وإنما أسوقه فى مساق التحليل الإنسانى كوحدة مرتبطة الأجزاء فى كل نفس بشرية ؛ فأنت قد تأخذك شهوة الكذب إلى التوريط فى أمر لا تحبه ؛ وقد يخلصك من مأزق تأزمت به نفسك !

قال : لكنى أسائلك من الكذوب الذى يهوى الكذب لذاته . .

قلت : إن التهافت على الرغبات منذ تحبو الغرائز فى صدر الإنسان لا تجد من يحد من حدتها ، فتقود صاحبها إلى تحقيق هذه الرغبات فى الواقع أو التوهم لإشباع التهافت ، وتحقيق الكيان الوجودى !

وقلت : لا تحسب الكاذب يصطنع الحقائق ، وإنما تصورها « أحلام يقظته » فيريد تحقيقها بحسب ما ترى هذه الأحلام ، وهو يجد لذة عجيبة تمزيه من الحرمان ، وتدنيه من المتعات المبهمة ..!

قال : كأنك تمهد الكذب ، وتوجه الكذابين ...

قلت : رويدك !.. أما نعرف من نطلق عليهم اسم

« الفشارين » .؟

إنى أتجه بتحليلى إلى هذا الصنف من الناس ؛ فهم ظراف ، لطاف ، بحابيح يرفهون عنا بأكاذيبهم أعباء الحياة ، ويحلقون بأجنحة أخيلتهم حتى يرتفعوا عن دنيا الحقائق المرة إلى الرؤى الحالمة ، والمرئيات الوهمية ، فهم يشبعون على مسغبة ، ويبلون الريق على ظمأ ، ويغتنون مع حرمان !

قال : لكنهم يضايقوننا فى اصطناع ما ليس حقيقة

قلت : أسائلك بحقك . ألم تأخذك « البجبجة » فى بعض أمرك ، فتترك نفسك على السجية ، فتدعى أنك أكلت « الديك الرومى » وأمثالك تكذبك

وتقول : لقد أغرقتنا فى شراب المدس ؟!

قال : ليس التفكه مقام بحثنا ، فصور لى مدى سخرية الكاذب من سامعيه

قلت : إن الكذب على الأسلوب الذى صورته لك هو القدر المشترك بين سائر الناس ، والكذاب « العبقرى » هو الذى يمكنه قيادة المقول إلى تصديق ما يقول ، ولست محبذاً خليقة الكذب على الإطلاق ، لأنها قائدة كل رذيلة من الرذائل ، ومدعاة إلى النفور ، وعدم الثقة ، وشناعة السمعة

لكنى أقول : إن الكاذب « المتعمد » فى كذبه الذى يبغى الإضرار بالناس ، والاستخفاف بهم ، والنيل منهم ، وإلغاء عقولهم ، يجب أن تلطم أكاذيبه بالتسفيه ، والزجر ، والتحقير ، والتزييف ، وقد نعتوا الكذب قديما بأنه لاذاكرة له ، والصدق يتبع الأسلوب المنطقى فى صحة نتائجه ومقدماته ، والكذوب مضطرب القول بذكر الشئ ونقيضه فى وقت واحد ، لأن الزمن لا يسع السلب والإيجاب مرة واحدة ، فالواقع أن الكذاب « مغفل كبير » لكنه يغفل كثيرا مما يسوق من حقائق ملفقة ، وأحاديث موهومة ، فيثبت آنا ، وينفى ما أثبته آنا ، وهو فى الحالين مضطرب النفس ، معذب الإحساس ، يود فى قرارته أن يفصح عن الحق ، ولكن تمنعه «رغبته» فى الكذب من الانحياز إلى الوقائع الصحيحة السليمة

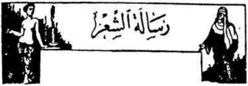
قال صاحبى : وكيف ننسبه إلى التغفيل ؟

قلت : الأمر سهل ! كر على قوله بالزيف ، وذكر ذاكرته الغافلة عما يسوق من تخالف ، وتباين ، وتناف ، فتسخر من سخريته وتريح نفسك ؟

قال : كم أنا أغيظ من الكذاب الأشر !

قلت : هون عليك !... ثم قل لى : أليست حياتنا أكذوبة كبيرة .؟!

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر



الشعور المكبوت

للأستاذ عبد اللطيف النشار

الشعور المكبوت فى مصر ثارا   فانفثى يا جوانب الأرض نارا
واقذفى بالطغاة فى كل صوب   واجعليهم حول اللهيب شرارا
دأب مصر من عهد نشأتها الأولى تَوالى بسكينة وانفجارا
الشياطين والملائك منا   واختيارا لو كنا لا اضطرارا
أخرجوا الآن لا اصطبار عليكم   وابتغوا غير هذه الدار دارا
أخرجوا الآن لا مكان بمصر   لمغير يسطو جهارا نهارا
مستخفا بكل ما قدس النـاس خسيسا فى فعله استهتارا
أخرجوا الآن مادام الناس ماء   حسبنا منكمو جنون السكارى
إن عهدا ما بيننا خنتموه   ليس يحمى مخادعين حيارى
استندتم إليه من بعد أن أصبح ظلا وخلتموه جدارا
فهوى الظل والذى اتخـذ الظل وقاء لظهره منهارا
وتحركتمو كأن حياة   بقيت فيكمو تعانى احتضارا
رمق خافت بنفس الذى يقتل طفلا ولا يرى ذاك عارا
قتلت (أم صابر) بيـد أضعف نفسا من أن تواجه ثارا
أو يحمى القناة أمثال هـذا ؟   حسبكم ذلة ويكفى صغارا
خطر ما أثرتموه عظيم   خطر أن تواجهوا الأخطارا
بنفوس تظن فى قتلها المرأة فوزا لجيشها وانتصارا
الجأتم إلى الكنيسة والمسجد خوفا من مثلها وفرارا
أرأيتم عجائزا فى طريق ؟   هن أمثالكم تخوضوا الغمارا !
أم تبولون فى المساجد ذعرا   أم أردنا للأرذلين اعتذارا
أيها الحر أوجها ستزيدون   بما قد سفكتموه احمرارا
ضرجوا هذه الخدود بأرض   قد قتلتم صبيانها والعذارى
يا بنى البحر فى السفين نجاة   لكمو اليوم من رمال الصحارى
وإلى حيث شئتمو من قرار   فابتغوا غير رمل مصر قرارا
وجعوا مصر جنـة قلت كانت   فانظروا الآن تبصروا مصر نارا
بالحديد المحمى نرمى ونرمى   أتريدون للحديد انصهارا
صهرته عداوة هجتموها   وعلى مستثيرها ما استثارا
ما البراكين تغتلى النـار فيها   كقلوب حرى تحاول ثارا
كان نورا ما أسفرت مصر عنه   فكساه مقت الأراذل قارا
حم فوق أرؤس القوم تهوى   ليس تبقى من العدى ديارا
لعنة فى ضمائر القوم أودت   بمظيمين يصرعان انتحارا
رأيا مسلك اللصوص عجيبا   فأثارا من الجوى ما أثارا
أبيا أن يكون قوتهما المسروق   من مصر قوة واقتدارا
أبيا أن يطوف جيشهما الباسل فى السوق خائفا يتوارى
أهب القائدان رأسيهما يأسا فكانا عن الطغاة اعتـذارا
ذهب اثنان من ربابنة الأسطول فى أمة تسود البحارا
وتلا الهالكين منهما ثالث جن فهل رد عقله المستعارا
ليس يخلو من الضمائر شعب   يشمل الصالحين والفجارا
جيش إنكلترا بمصر تخير   أجلاه أردته أم بدارا
فيكمو الصالحون قد آثروا الموت وفيكم وقاحة لا تبارى
كل باق بمصر منكم فلص   فليحاسب ضميره كيف سارا
قيل أخلاق لندن قلت مرحى!   قد رأينا جيشا لها جرارا
يسرق الزاد تحت راية ملك   كان فيما مضى يتيه افتخارا
خادع العالمين عصرا طويلا   وأزاح الزمان عنه الستارا
يا بنى مصر إن فى مسلك الحر ازدراء لشأننا واحتقارا
وبدأنا فلا رجوع فإنا   قد ملأنا الأسماع والأبصارا
ولفتنا العيون فى الشرق والغرب إلينا فهل نطيق اعتـذارا
ابذلوا المال قبل أن تبذلوا النفس ففى المال فتنة لا تُجارى

عبد اللطيف النشار

من الأعماق

للأستاذ عبد العزيز مطر

من الأعماق نبعثها غضابا ... مدوية نشق بها السحابا
عقدنا العزم أن نحيا كراما ... ولو ذقنا الشدائد والصعابا
ونحيي عهد أجداد أباة ... لنجدر بالفراعنة انتسابا
ونسطر في سجل الخلد أنا ... وثبنا الوثبة الكبرى خبابا
نلبي دعوة الوادي إذا ما ... أشار إلى الشبيبة أو أهابا
من الأعماق نبعثها تدوي ... سننزل بالقراصنة العقابا
ونطعمهم كراهية وبغضا ... ونسقيهم حميا بل عذابا
ونعطي «للعجوز» الغر درسا ... فنلزمه الحجة والصوابا
وما للغرب عتب لو فعلنا ... فإن الحق لا يرضى العتابا
صبرنا صبر «أيوب» عليهم ... فأحصينا جرائمهم كتابا
رأينا الصبر لا يجدي فتيلا ... «ولكن تؤخذ الدنيا غلابا»
فألغى «مصطفى الوادي» صكوكا ... بها اغتصبت أراضينا اغتصابا
وصفقنا من الأعماق بشرا ... ونادينا نداء مستطابا
تحررنا من الأغلال فانهض ... سليل المجد مرموقا مهابا
فلا حلف تنسأني أثيم ... يجر لنا المذلة والتبابا
ولا حلف رباعي بغيض ... يعود إلى الوراء بنا حقابا
ويربطنا بقرصان لصوص ... ويجعل ما بنيناه خرابا
هو القتل المقنع قدموه ... وسموه «مشاركة» كذابا
فهبوا فتية الوادي أسودا ... وأجلوا عن عرينكم الذئابا
وكونوا حول عرشكم المفدى ... كماة لا تهابون الحرابا

عبد العزيز مطر

المحرر بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلى روح صالح الشرنوبي

للأستاذ كامل أمين

صرت وحدي بغير كأس وساق ... وخوت حانتي وبانت رفاق
أبه يا جار والغبوق على الد ... ن كأن الطلى دموع الفراق
أرأيت الذي هنا كان بالأمـ ... ـس يريق الحياة غمر الزقاق
بعد أن كان ملء كأس الندامى ... أصبح اليوم ملء دمع المآق
مر بالأرض كالغريب ايرقى ... رأيه الحر بين أهل النفاق
وجرى كالدم النبيل على الشو ... ك وفي قلبه شذى الورد باق

° ° °

أي قبر نزلت يامسرب الخـ ... ـير وأنت الرباب وهو اليباب
أي قبر نزلت يا مطلع الفجـ ... ـر وأنت الشعاع وهو التراب
أي قبر نزلت حتى، أرى هل ... هزه الشعر أم رواه الشباب
أهنا نترك الأكاليل تذوي؟ ... ولمن.؟ للذي حواشيه غاب
ينبت الزهر من معانيه ما ينبـ ... ـته الخلد لا الربى والشعاب
طالما قال لي تجلد وقلبي ... خلبه الهم غلفته الحراب
وثوى الصابر المصبر، حقا ... إنما هذه الحياة سراب

° ° °

نم قريرا فلن ترى بعد هذا الـ ... ـيوم نذلا ولن تلاقي لئيما
في التراب الذي نزلت ثوى الخلـ ... ـق فضم الحصى وضم النجوما
عادل الموت لا يكرم في الحـ ... ـق خبيثا ولا يذل يتيما
كل شيء به سيبعثه اللـ ... ـه كما كان سافلا أو كريما
بين ذكرى تفوح كالمندل الرطب ... وذكرى تهب ريحا سموما
والذي صارع الخطوب عظيما ... ستواريه في ثراه عظيما

° ° °

رب فجر كشعره ضاحك السـ ... ـن رطيب الندى صبوح القوافي
لمست إصبع الحياة حواشيـ ... ـه فسالت دموعه كالسلاف
تستقي الطير منه وهي النشاوى ... وتغني به الشجا وهو خاف
كنت أرجو بأن أريق قريضي ... لا لأرثيك بل ليوم الزفاف
آه يامن نهضت في الصخر كالور ... د ويا من قطفت قبل القطاف
وتفجرت في الحجارة كالنبع ... طروب الحيا سخي الطواف
عشت. ما عشت في العفاف وووريت ... فووريت في التقى والعفاف

° ° °

طف بعرش الكريم واشك له ... الناس وقل ما لقيته في حياتك
لا تركت الضياع تورثها النفـ ... ـل ولا في يديك حقد عداتك
بل فقير كما ولدت وإن كـ ... ـنت غنيا بثروة من صفاتك
تحمل الحب والدموع على الأر ... ض كما تحمل الحياة قناتك
أقفرت حولي الحياة فما لي ... لا أرى اليوم غير وجه نماتك
يرسلون الأسى وأقسم (يا صا ... لح) لم يرسلوا سوى عبراتك
كنت معنى الوجود حتى إذا ما ... مت مات الوجود يوم مماتك

كامل أمين

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

انه لحن فصيح :

كتبت فى العدد الأسبق من الرسالة (١) ردا على الأستاذ أحمد محمد بريرى فى تخطئته — بصحيفة الأساس — الدكتور طه حسين فى قوله بأحد مؤلفاته « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر » إذ رأى الأستاذ أن الصواب « فيدخلوا » لا « فيدخلون » متوهما أن الفعل منصوب بعد فاء السببية.. وقلت ما مجمله أن الفعل مرفوع لا منصوب

وقد تناول الأستاذ بريرى هذا الرد ، برد عليه فى « الأساس » (٢١ — ١١ — ١٩٥١) قال بعد أن أورد ما كتبته :

(ولقد علمنى « شيخى » أن مسوغات النصب بعد فاء السببية هى : الأمر ، والنهى ، والدعاء بفعل أصيل ، والاستفهام ، والنفى ، والعرض ، والتحضيض ، والتمنى ، والرجاء على خلاف ، وغير عند الكوفيين ، والتشبيه الواقع موقع النفى

فما غاب عن شيخى أن النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لا بد له من مسوغ ، وإنما غاب عن الأستاذ عباس خضر كثير من المسوغات ..فإن تعبيره غير جامع ولا مانع ، لأن النفى والطلب — إذا روعيت الدقة — بعض من كل ، فى حين أن من يقرأ كلام الأستاذ يفهم أنهما كل شئ فى هذا الباب ، كما يفهم أن ثمة تضادا بين فاء العطف وبين فاء السببية . . فالفاء عنده إما أن تكون عاطفة ، وإما أن تكون سببية .. والواقع أنه لا تضاد ، وأن فاء السببية عاطفة فى أكثر الصور ، عاطفة فى بعضها .. وأن بعض النحاة ليعدها عاطفة دائما حتى إذا انتفت المشاكلة بين الجملتين .. ومع هذا انمد من هذا الأمر ، فنحن متفقون على أنها فى قول الدكتور طه حسين « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا على أنها لم تنشر .. الخ » عاطفة .. وإنما وجه الخلاف فى المعطوف عليه .. فالأستاذ عباس خضر يرى أنه « يريدون » وبهذا يسلم قول الدكتور طه حسين من اللحن .. أو يصبح ، على حد عبارة الأستاذ خضر ، لحنا فصيحا . بينما يراه شيخى لحنا قبيحا ، لأن الفاء عاطفة على « يضحكوا » لا على « يريدون » وأن الأستاذ عباس خضر يتحكم . . ونحن نحتكم إلى قواعد العربية . . وأنها لتقرر أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب على خلاف الواو . فأنت ، إذ تقول جئت فسمعت فتكلمت . تعنى أن هذه الأفعال وقعت متعاقبة كما رتبتها الفاء فإنها تربط ما قبلها بما بعدها ربطا مباشرا . . .

فإذا نظرنا فى كلام الدكتور طه حسين مع مراعاة حكم القاعدة ، تعين العطف على « يضحكوا » . .

وأحب أن أقول للأستاذ عباس خضر إن بين النحاة من لم يرضه تعليل الرفع فى قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن انتفاء السببية لم ينف العطف بالفاء . . وهو بها إنما يكون على أقرب الفعلين كما تقضى قاعدة الترتيب والتعقيب . وما صح كلام الحطيئة إلا لأنهم تجوزوا وتوسعوا فى الشعر ، فرفعوا ما حقه أن ينصب ، كما فى رجز الحطيئة ، ونصبوا ما حقه أن يرفع كما فى قوله :

سأترك منزلى لبنى تميم والحق بالحجاز فأستريحا

وإن كان بعضهم يرى جواز النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية دون اعتماد على نفى أو طلب أو غيرهما

ورفعوا ما حقه أن يجزم كما فى قوله :

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقد يكون الأستاذ عباس خضر ممن يرون أن كلام الدكتور طه حسين كله شعر . . وأن من حقه فى التجوز والتوسع هو هو حق الشعراء جميعا سواء أقبل النحاة ، أم رفضوا .. وسواء أغضبوا أم رضوا .)

---

(١) العدد ٩٥٩

أقول مرة ثانية : سبحان الله يا أستاذ .. ويا عجبا لك ولشيخك ! كيف غاب عنكما فى هذه المرة أن « المسوغات » التى ذكرتها من الأمر والنهى .. الخ ، هى نفسها أنواع الطلب وليست شيئا مغايرا له .. كما غاب عنكما فى المرة الأولى أن المضارع لا ينصب بعد فاء السببية إلا إذا سبقت الفاء بنفي أو طلب ... ؟ وإذا كنت تعتقد أن هذه « المسوغات » التى غابت عنى أشياء أخرى غير الطلب فما هو الطلب إذن . . ؟ هل أطمع أن تذكر لى مثلا من أمثلته ؟ أو كيف علمك « شيخك » أن هذه الأشياء التى تسبق فاء السببية فينصب الفعل بعدها اسمها « مسوغات » وما هى إلا شروط .. ؟ ولعلك عرفت الآن أنه لا داعى لمراعاة « الدقة » فى التعبير .. إلى آخر ما طاب لك فى هذا المقام ...

وأنا يا سيدى الأستاذ لم أنف السببية عن الفاء العاطفة ، فقد قلت إنها فاء العطف وأنا أقصد أنها ليست فاء السببية التى يعدها النحاة من الأدوات التى ينصب المضارع بعدها بأن مضمرة إذا سبقت بطلب أو نفى ، فالذى يهمنا من الفاء فى موضوعنا إنما هو أثرها فى الإعراب

وانتهى من كل ذلك ، على ما فيه . . . لنصل إلى محور الموضوع ، وهو نصب الفعل « يدخلون » فى كلام الدكتور طه حسين على ما ترى ، ورفعه على ما أرى . إنك خطأت رفعه فى مقالك الأول لأنه – كما توهمت – واقع بعد « فاء السببية » فلما عرفت أن فاء السببية لا ينصب بعدها الفعل إلا إذا سبقت بنفى أو طلب (بغض النظر عن فهمك للطلب من حيث إنه غير جامع لما ذكرت من الأمر والنهى .. الخ)

لما عرفت ذلك من ردى أو من شيخك بعد أن قرأت هذا الرد .. حورتَ المسألة إلى وضع آخر ، إذ قلت إنك متفق معى على أن الفاء عاطفة وإنما الخلاف فى المعطوف عليه ورجعت العطف على « يضحكوا » . . فأنت إذن قد رجعت عما قلت أولا بعد أن عرفت خطأه وإن كنت لم تعترف بذلك . . ثم حاولت أن تتمادى فى التخطئة على وجه آخر أو على « قفا » شيخك .. واحتكمت إلى أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب وليكن ، أليس إدخال الفصول على الصحف واقعا بعد الإرادة وعقبها ؟ أما إذا جعلنا « يدخلون » معطوفا على « يضحكوا » فإنه لا يتصور

كشكول الأسبوع

◻ كان معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، أمر بتأليف لجنه برياسة صادق جوهر باشا وكيل الوزارة ، كى تضع أنظمة لتطبيق القانون الذى يقضى بتعليم اللغة العربية والثقافة المصرية ، فى المدارس الأجنبية . وقد انتهت اللغة من عملها ورفعت تقريرها إلى معالى الوزير . ويتضمن هذا التقرير وجوب تعليم اللغة العربية لتلاميذ تلك المدارس سنة على الأقل فى المرحلة الابتدائية . ويقول التقرير : ولما كان تعليم الدين الإسلامى فى المدارس الأجنبية يلقى كثيرا من الصعوبات فيكتفى بأن يسمح للتلاميذ المسلمين بتلقى هذا التعليم فى أقرب مدرسة أميرية أو يتعهد ولى الأمر بتعليم التلميذ

◻ توفى فى الأسبوع الماضى المغفور له جمال الدين أباظة بك المستشار السابق ، وقد كان رحمه الله أديبا متمكنا متفقها فى الأدب كما كان متفقها فى القانون . ولا أنسى الجلسات الأدبية التى جمعتنا به فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى وما كان يفيض فى الندوة من أحاديثه المستطابة ولفتاته الأدبية البارعة

◻ اقترح الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ، على الحكومة المصرية ، أن تعنى بمشروع معاهدة ثقافية بين مصر والباكستان

◻ « الصحافة العسكرية » عنوان كتاب جديد للأستاذ محمود عيسى ، يتحدث فى أوائله عن تاريخ الصحافة العسكرية مبتدئاً بصحيفة الصحفى المصرى « بتاح » منذ خمسة آلاف سنة ، حتى مجلة الجيش المصرى فى عهد الفاروق . ويأتى بعد ذلك القسم الأكبر من الكتاب ويشمل تراجم لحياة طائفة كبيرة من الكتاب والصحفيين فى الجيش المصرى . والكتاب يجلو هذه الهامة فى حياتنا الفكرية ، بحسن فى التنسيق وتفوق فى الموضوع وجمال فى العرض والأسلوب

◻ إزاء النجاح الذى لقيته فرقة المسرح المصرى الحديث فى مسرحية « مسمار جحا » رأى مديرها الأستاذ زكى طليمات أن يوالى المشاركة الفنية للحركة الوطنية الحالية ، فاعتزم تقديم مسرحية وطنية أخرى اسمها « دنشواى الحمراء » على مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من أول ديسمبر

الترتيب والتعقيب بينهما لأن الإدخال يسبق الضحك لا العكس

ولا أكتم عنك ياسيدى الأستاذ شعورى بأننى أوضح أمورا واضحة ، ولكن ما حيلتى ؟

ونسبت يا سيدى الأستاذ إلى بعض النحاة مالا ينبغى أن ينسب إلى نحاة ، إذ قلت إن هذا « البعض » لم يرضه تعليل الرفع فى قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن العطف يكون على أقرب الفعلين .. كأن هذا البعض يريد أن يعطف « يعجمه » على « يعربه » فيكون المعنى أو « اللا معنى » يريد إعرابه فإعجامه . . أى يريد الضدين معا ! ومن أين أتيت يا سيدى بهذه القاعدة : « العطف يكون على أقرب الفعلين » وماذا تقول فى هذا المثال : « يريد الكاتب أن يخطئ غيره فيخطئ هو » هل « يخطئ » معطوف على « يخطئ » فيكون المعنى يريد تخطئة غيره وخطأنفسه .. أو معطوف على « يريد » مع السلامة التى لا بد لها من التنازل عن قاعدة العطف على أقرب الفعلين ؟

وأراد الأستاذ بربرى أن يقحم أشياء أخرى غير ما تعرضت لمناقشته فيه ، فقال :

(وقد أسلم للأستاذ عباس خضر هذا الذى يراه إن كان يراه .. ولكن ما رأيه فى أن الدكتور طه حسين قد تجاوز فى النثر ما أجيز فى الشعر ..؟

فما علمنا شاعرا نفى الفعل المثبت « بقد » فقال « قد لا يكون » كما فعل الدكتور طه حسين ، ولا نفى السوف بسوف فقال « سوف لا يكون » ولا أكد بإضافة المؤكد إلى المؤكد فقال « نفس فلان » بدل « فلان نفسه » ولا استعمل كاد كما يستعملها الدكتور طه حسين حين يقول — مثلا — ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا ، يعنى « ما فعلت » أو « ما أن فعلت » .. إلى آخر ما كتبنا ، وغيره مما سنكتب فى الأساس

وإذا سلمنا — جدلا — للأستاذ عباس خضر أن لحن الدكتور طه حسين فصيح .. أو أنه لحن ما أفصحه فى حكاية الضحك من الصحف ورؤساء التحرير ، أفنراه كذلك لحن ما أفصحه فى حكاية النفى بعد قد وغيره مما كتبناه ، أم يسلم لنا أنه لحن ما أقبحه .؟

هذا على أنى ما أردت أن أنكر على الدكتور طه حسين مكانه فى الأدب عامة . وفى اللغة العربية وأدبها خاصة ، وهل فى وسعى ، لو أردت ، أن أفعل ..؟

ولكن أحد تلاميذ الدكتور طه حسين روى عنه أنه قال : إنه ثالث ثلاثة لا يلحنون أو أنهم معصومون من الخطأ .. فرأيت أن أقيم الدليل على أنه كغيره من العلماء ، قد يلحن .. وقد يخطئ .. وأن الخطأ لا ينقص من قدره ، ولا يذهب بشئ من فضله .. فإن حظ بنى آدم أن يخطئوا حينا .. وأن يصيبوا حينا .. وإذا شاء الأستاذ خضر أن ينكر على الدكتور طه حسين آدميته فما أحسبه يريدنى على أن ألتزم معه هذا الإنكار

وبعد ، فإنى أعتب على الأستاذ خضر أنه يحسبنى أخجل من الخطأ .. فهل ادعيت العصمة فأستحى أن أرد إلى الصواب .؟

كلا .. فأنا على أتم استعداد لتلقى الإرشاد من الأستاذ عباس خضر .. بل لعلى أحق بعونه من الدكتور طه حسين ..

وثمة شئ أخجل — حقا — لو شاء الله أن أقع فيه : ذلك أن أقول غير ما أعتقد فى نحو اللغة العربية أو غيره من أنحاء الحياة)

وإنى أعتب على الأستاذ الفاضل ، وأحيى فيه روح الجدين للوصول إلى الصواب ، وأقول : إنى لم أبذل عونا إلا للحق الذى قصدت أن أنفض عنه ما علق به من غبار ، ولهذا أسأل الأستاذ بربرى : لماذا حورت الموضوع من المناقشة فى نقطة معينة إلى الكلام حول الدكتور طه حسين وما وهمته من أخطاء له . . ؟ وإنى مع ذلك أجيبك إلى هذا الذى نقلتنا إليه

« قد لا يكون » لم لا يكون ؟ نعم قال بعضهم إن « قد » إنما تدخل على الفعل المثبت ، ولكن أى « قد » ؟ إنها تكون للتحقيق ولتقريب الفعل الماضى من الزمن الحال ، وهذا فيما أرى مرجع التعليل لجمل « قد » الايجاب ، فإن النفى لا يتفق مع التحقيق والتقريب ، أما « قد » التى تدخل على المضارع للتقليل أو التوقع — كما فى « قد لا يكون كذا » فلا تعارض



المسرح المصرى

في خدمة العقيدة الوطنية

للاستاذ زكي طليمات

يختلف شيوخ الأدب وأئمة الفن فى رسالة الأدب والفنون فيما يجب أن تهدف إليه فى جوهرها

فبينما يقرر بعضهم ، أنه واجب أن تكون رسالة الأدب والفن طليقة حرة غير مقيدة بهدف معين أو غاية مرسومة ، أى أن تكون رسالته لمجرد الأدب والفن ، إشراقات تصقل الذوق وتصقل الروح . وتنمى حاسة إدراك الجمال . وسبحات فى آفاق المعانى والخيال الشهى . ولمسات ترق بالنفس إلى أعلى مدارك النور . . .

بينما يقررون هذا ، يهب بعضهم الآخر يدعو إلى أن رسالة الأدب لا بد أن تكون أولا وأخيرا لمعالجة ما يشغل أذهان الناس تبعا لمشكلات حياتهم . ولتتناول ما يعنيهم فى كفاحهم مع العناصر التى تحيط بهم . ابتغاء تيسير أسباب الحياة الاجتماعية فى ناحيتها الإيجابية ، ومعاونة الشعوب على التقدم والارتقاء

ثم هم يقررون فوق هذا ، أن رسالة الأدب إذا انحرفت عن هذا فما أتفهها رسالة وما أقلها منفعة

ولسنا فى هذا المقام لنصرة فريق على الآخر . فللفريق الأول الذين يعيشون فى (أبراج عاجية) ما يدعم وجهة نظرهم ، باعتبار أن الأديب أو الفنان ، إذا فرضت عليه القيود فى مباعث إلهامه وفى مواطن وحيه ، خرج نتاجه ضحلا قلقا قريب الغور ، وقلما يكتب له البقاء والخلود ، لارتباطه فى جوهره بفكرة قد تتغير مع

مع النفى ، وهى فى هذا تجرى مجرى « ربما » وربما تدخل على المنفى والمثبت ، فلا فرق بينهما ؛ وعلى ذلك أسأل : ما المانع من دخول قد التقليلية والتوقعية على المنفى ؟ وما هو تعليل هذا المنع إن قيل به ؟

« سوف لا يكون » أسأل هنا أيضا : ما المانع من هذا التركيب ؟ وإذا كنا نسوف فى وقوع الفعل فلماذا لا نسوف فى عدم وقوعه ؟ وهل للكاتب الفاضل أن يأتى بنص صريح يمنع دخول سوف على المنفى ؟

« نفس فلان » ليست « نفس » هنا للتوكيد المصطلح عليه عند النحويين ، وإنما هى بمعنى « ذات » وإذا كنا نقول ذات فلان فلم لا نقول نفس فلان . ؟

« ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » فى هذه المسألة رأيان ، فكاد معناها قارب ولم يفعل فهى تفيد النفى ، والمتقدمون يرون أنها تفيد الإثبات إذا دخل عليها النفى ، طبقا للقاعدة المعروفة « نفى النفى إثبات » وعلى هذا يكون التعبير « ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » سليما ، وقد خطأ بعض العلماء — بناء على هذا الرأى — ذا الرمة الشاعر ، فسلم لهم ذو الرمة بذلك . ولكن بعض المتأخرين ذهب إلى خلاف ذلك الرأى بأن نفى كاد نفى لمقاربة الفعل ، وهذا هو الذى استند إليه الأستاذ بربرى فى تخطئة التركيب « ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا » ومن العجيب أن ينكر كاتب فى هذا العصر رأيا المتقدمين ليخطئ تركيبا على رأى المتأخرين يخالفه . !

هذا هو يا سيدى جواب ما قلت إنك كتبته فى « الأساس » من أخطاء « موهومة » للدكتور طه حسين ولست أدرى ما ستكتبه ، وهل هو من هذا القبيل ؟

إن الدكتور طه حسين كسائر البشر ليس معصوما من الخطأ ، ولكن هات الخطأ . .

عباس خضر

الزمن ، أو بحالة ليس لها من البقاء إلا مدى حياة الأزياء المتقلبة والطقوس العابرة

وللفريق الآخر بدوره ما يؤيد ما يذهب إليـه ، إذ لا بد ، لكي يكون الأدب حيا ، أن يخاطب ما يعصف بأذهان الناس، وأن يعمل على معاونتهم فى معترك الحياة الواقعية ، وأن يشاركهم فى نضالهم مع ما ينزل بهم من أحداث

وفى نظرنا ، أن الأدب أو الفن ، إنمـا هو هزة وانفعال بتأثير ما يدخل على النفس ، وأن الأديب الحق والفنان الأصيل ، كلاهما إنما ينفعل ويتأثر بما يحيط به من عناصر بيئته ، وأن الإجادة فى النتاج رهينة بعمق امتلائه مما يهزه ، وبمعالجة هـذا معالجة إنسانية طريفة

* * *

إلا أن هناك فترات فى حياة الشعوب نرى لزاما على الأدب والفن أن يكونا خالصين متوفرين ، لخـدمة المجتمع فى أهم ما يشغله ، سواء كان هذا الشاغل عرضا إلى زوال ، أو مبدأ قد يغير من جوهره على مر الأيام

وأهم هذه الفترات — ولا شك — تلك الفترة التى يمر بها شعب مرحلة تقرير المصير ، واستخلاص كيانه الذاتى ، وفرض إرادته لمسايرة ركب الحياة فى دنيا الحرية والكرامة

وما أظن أن هنـاك فترة فى تاريخ مصر أدق وأخطر من تلك التى نعيش فيها الآن ، فهى فترة النضال الحـاسم من أجل الحرية ، وساعة الكفاح الأخـير فى سبيل العزة والكرامة ، فإن تخلف المسرح — وهو أدب وفن — عن مؤازرة الفكـرة العاصفة السائدة ، فكرة الكفاح، إذا لم يسخر المسرح المصرى قواه لتغذية الوعى القوى ، ومساندة عقيـدة النضال ، وذلك بتذكير الناس بما يجب أن يذكروه ، وتبصيرهم بما يجب أن يكون ماثلا فى أذهانهم ، إذا لم يؤد المسرح هذا الواجب ، فقد كتب على نفسه وبيده ، أنه عالة على الحياة ، وأنه متخلف عنها ، وأنه غافل لا يحس نبض الواقع ، والغافل والمتخلف غير جديرين بالحياة

إن الحياة فى مصر ، والمسرح من عناصرهـا ، تجرى الآن متدفقة فى مجرى واحد حفره تاريخها المجيد وحاضرهـا الزاهر ، وكرامتها وعزتها ، فإذا لم تجند جميع عناصر هذه الحيـاة لهذه الغاية فما أقلنا جدارة بالحيـاة ، وما أحرانا بأن نبقى نتطوح بين العبودية المقنعة وبين الذل السافر

من أجل هذا ، نقدم نخوربن (مسرحية دنشواى الحمراء)، دنشواى ، الجرح الدامى فى كرامة مصر منذ عام ١٩٠٦ ، نقدم هذه الصفحة الناصعة من حيـاة مصر فى ظل الاستعمار ، نقدمها على الوجه الذى يهز القلوب ويثير الحماس ، نقدمها صفحة من جانب المسرح المصرى فى وجه الاستعمار ، ولا نبالى أن يقال عنا إننا تركنا (الأبراج العاجية) إلى أديم الأدب الكافح ، أدب الساعة الراهنة ، مادام ما نقدمه يحمل من السلامة والطرافة ما يحمل

نقبل هذا ، إذا ادعاه المدعى ، فهو أحرى بنا وأكرم من أن نتخلف عن الصف وهو يسير بين السويس ، والإسماعيلية ، وبور سعيد متعثرا بأشلاء مواطنيه الشهداء ، وكل واحـد فى الصف قد حمل قلبه على يده ، ونسى يومه وغده

زكى طليمات

هوليود بين الخوف والامل

بدأ التليفزيون يسير بخطى واسعة نحو الانتشار وخاصة فى الولايات المتحـدة الأمريكية وأصبح تهديده عظيما للسينما. ولقد لاحظ المراقبون لشؤون الفن أن ثلاثة آلاف دار للسينما قد أغلقت أبوابها نظرا للمنافسة الشديدة للتليفزيون (فى الثمانية عشر شهرا الأخيرة) ويقول هؤلاء المراقبون إن تكاليف الفيلم فى التليفزيون يبلغ عشرين ألف دولار ويستمر عرضه ثلاثين دقيقة أى أن ثلاثة أفلام تتكلف ستين دولارا لمدة ساعة ونصف، وهذا ما يعادل مدة الفلم السينمائى إلا أن تكاليف أرخص الأفلام التى تقدمها إحدى الشركات السبع الكبرى فى أمريكا يبلغ مائة ألف دولار، والفيلم المتوسط بين ستمائة ألف ومليون دولار

البريد الأدبي

على طلقات المدافع :

قرأت القصيدة الجيلة التى نشرها الأستاذ الألمعى محمد عبد الغنى حسن بالعدد الأخير من مجله الرسالة تحت عنوان « على طلقات المدافع » وقد أعجبت بإشراقها الناصع ، ودفاعها البليغ عن صمت الشعراء ، ولما كنت أعهد شاعرنا المبدع ناقدا دقيقا يعنى بتصحيح الأوضاع الخاطئة ، رأيت أن أوجه إليه هذا التعقيب البرئ

لقد لاحظت أن الشاعر لم يلتزم القواعد العروضية فى شعره، إذ أنه نوع العروض فى السطور الأولى تنويعا مخلا ، فجاء بها تارة على وزن « فاعلا » وتارة على وزن « فاعلاتن » ومن المقرر أن العروض تلزم حالة واحدة إلا عند التصريع فتتبع الضرب ،

ويقول المدافعون عن صناعة السينما إن السينما تعطى صورة حقيقية لحجم الأشياء وفى ذلك متعة للمتفرجين لا يمكن لهم أن يجدوها فى التليفزيون، كما أن هناك من الأفلام مالا يجوز للنشء رؤيته، وهذا مالا يمكن منعه فى حالة التليفزيون ، وخاصة بعد أن أصبح يوجد فى كل قهوة فى نيويورك والمدن الكبرى فى أمريكا آلة للتليفزيون . ولقد بلغ عدد آلات التليفزيون خمسمائة ألف آلة ، ١٣٧ محطة ...

ولقد ظهر سوء انتشار التليفزيون فى تعدد حوادث الإجرام بين النشء حتى أن جماعة الأساتذة والآباء فى « لوس إنجلز » قد احتجت على البرامج التى يقدمها التليفزيون ، ذاكرة أن فى المدة بين ١ — ٧ مايو سنة ١٩٥١ حوت برامجه :.

٢٢٧ حادثة قتل	٣٥٧ شروع فى قتل
٤٦ سرقة	٣٩ حوادث خطف

ورغم هذه الانتقادات فالتليفزيون آخذ فى الانتشار، وإن السنوات القادمة ستبرهن لنا عن مدى صلابة صناعة السينما أمام هذا المنافس الخطير.. بينما تمسك هوليود بقلبها بين الخوف والأمل..

باريس سالم حزام

ولكن الشاعر لا يسير على هذا الرأى فبينما هو يقول جاعلا العروض على وزن « فاعلا »

أطلقوا المدفع من معقله واملأوا الجو دخانا وقتاما
القناة اليوم من روعها بالخطوب السود غدرا وانتقاما
أطلق الغاصب فيها طبعه كوحوش الغاب فرسا واهتضاما

إذا هو يقول جاعلا العروض على وزن فاعلاتن

قد شبعنا يا أخى فيكم نداء وشبعنا يا أخى فيكم كلاما
هذه الأقوال لا تحمى شهيدا من ضحايا الحق أو تشفى أواما
الكلام اليوم لا يحمى حقوقا والبيان اليوم لا يرمى القداما

وأمثال هذه الأبيات من النوعين كثير فى القصيدة مما يؤدى إلى الانكسار وخروجها عن القواعد الصحيحة

فما رأى الشاعر المبدع والناقد الألمعى الدقيق ؟

محمد رجب البيومى

حول الاستعمار الثقافى :

فى رأيى أنه لا استعمار فى الثقافة كما ينادى بذلك الأستاذ المداوى فى حديثه عن (موقفنا من الاستعمار الثقافى) بالعدد (٩٦٠) وكما نادى به الأستاذ عباس خضر فى عدد سابق من الرسالة الزهراء ، فلسنا فى دراستنا للغات ومنها الانجليزيه مقهورين على إرادتنا . ولا أفهم أن نتركها إلى حين ثم نعود إليها بعد (متفضلين) ثم لا أفهم للغة الألمانية أو الروسية أو الفرنسية فضلا على الإنجليزية ، وكلها شعوب استعمارية لا خير من ورائها لشعوب الشرق ، .. هى ولا شك عاطفة وطنية يشكران عليها ، ولكنها لا تمنعنا من التسلح ضد المستعمر الغاصب ومن ذلك حذق لغته لتكون مخلبا تزهق به روحه بجوار التسلح المادى والأدبى ، ولا علينا من الظروف التى أملت علينا تعلمها . فالوعى قد نضج ، واختلطت كراهة الانجليز بدماء الشعب ، وهب الجميع يمحون وصمة الاستعمار . . لم يأخذنى العجب حين سمعت هذا النداء من تلاميذنا فى المدارس الثانوية ، فقد صدروا فى ذلك عن عقدة نفسية تخلفت عند أكثرهم من رسوبهم فى امتحانها ، لأنهم لم يكدوا ذهنا ولم يقرحوا جفنا فى سبيل



قانصـــوه الغوري

سلطان مصر الشهيد

الفصل السادس

في بركة الرطلى

للأستاذ محمود رزق سليم

بقية ما نشر في العدد الماضي

الشاعر : صدقت ! ولكن الشعراء يعيشون بعواطفهم أكثر مما يعيشون بعقولهم ، ويتأثرون بالحوادث أكثر مما يتأثر بها سواهم . هم يشاركون المؤرخين حب الاستطلاع ، والوقوف على كنه الحوادث. ولكن المؤرخين يقيدونها فحسب، أما الشعراء فيتأثرون بها ويثورون لها.. وهذا هو الفارق بيني وبين فقيهنا الهمام مولانا ولي الدين . .

ولي الدين الفقيه : كيف لا يتأثر المؤرخون بالحوادث ، إذا كانت تتصل بهم في الصميم ؟ ومنذا يرى بلاده يطغى عليها الشر فلا يحزن لها ويكافحه ، أو يعمها الخير فلا يهنأ معها أو يأخذ من خيرها بنصيب ؟

التاجر فرس الدين : إذن ! مولانا الشيخ معجب بما في البركة من زينة وملهى ، ويدعونا إلى أن نقبس من لهوها بمقباس .. وقد قيل :

منذا يرى الغيد تهفو   برقة   ودلال
ولا يميـــل إليها   ولا يلين بحال ...

ولي الدين الفقيه : وقانا الله وإياكم شر المنكرات ، إنما أقصد بالخير ما تشهده البلاد الآن من الرخاء . وذلك يدعونا إلى أن نتحدث بنعمة الله ، فقد قال تعالى : « وأما بنعمة ربك

تحصيلها . . وإني أسائل الأستاذين الفاضلين هل سيبدآن فيمحوانها من صدريهما ! أم أن هـذه حماسة وطنية يشكران عليها ... فقط

محمد محمد الأبشيهي

« نسبة أبيات »

أطلعت في العدد ٩٦٠ من مجلة الرسالة الغراء على مقال الأستاذ كامل السوافيري تحت عنوان «أدب الثورة والكفاح» نسب فيه الأبيات الآتية إلى الأستاذ مخائيل نعيمه :

أخي ما الصبر أن الصبر كفران وخذلان
أخي ما نحن بالأحرار لكن نحن عبدان
لقد ضاقت بنا الأوطان ما للعبد أوطان
أخي ما السجن هل في السجن آلام وحرمان
وهل يجدي مع الأحرار قضبان وسجان
سوانا يرهب القضبان أو تثنيه جدران
إذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان

والحق أنها للشاعر الشاب كامل الحقوق من قصيدته « أسرار » التي نشرها في أول عدد يناير من مجلة (أم درمان) سنة ١٩٤٦ أما أبيات مخائيل نعيمه فهي :

أخي أن ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا الخ

هذه الأبيات تجدها في ديوانه « همس الجفون » تحت عنوان « أخي » ومعذرة للأستاذ فإن وحدة الموسيقا والثورة في القصيدتين هي التي أوقعته في هذه الهفوة وللأستاذ إعجابي وتقديري

أبوه محمد حسب الله

لحدث » وقال جل شأنه : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » -
وها هو ذا النيل يفيض وبقى كعادته ، وها ذى الأرض تبسم لنا من زرعها النضير . وقد قيل :

النيل فاض وفى راحاته ذهب والأرض دون نداء كم تلبينا
هـــذا يثر عليها التبر آونة فتنفث التبر زهرا أو رياحينا

وهذا من حسن طالع سلطاننا ، وفأل حسن لعهده . ومن العجيب أن النيل أبطأ مرة عند الوفاء فعجل السلطان إلى مقياس الروضة ، وصلى لله هنا ودعا ، وأمر القضاة الأربعة أن يبيتوا الليلة بالروضة ويقرءوا القرآن ، فتأذن الله للنيل فوفى

الشاعر : لقد كان فى هذا الرخاء إغراء للسلطان ، فأمعن فى نعيمه وملاذه ، وبالغ فى إظهار عظمته ومجده . وشغل الناس بمواكبه وأسفاره . لست أنسى ما حييت من لياليه وأيامه ، ليالى المقياس وأيام الأهرام . . كم من يوم يمم فيه أرض الروضة وزار المقياس وأقام ردحا فى قصره هناك . لكن كل ذلك لا يقاس بيومه فى جمادى الآخرة من العام المنصرم ، يوم انحدر إلى المقياس وطلع إلى قصره ، ودعا إليه أمراء السلطنة على بكرة أبيهم ، مع جم غفير من الجند ، واستقدم قضاة الشرع الأربعة ، وعددا من أعيان الدولة ، وموظفيها ، واجتمع بأمر منه عشرات من القراء والوعاظ . فقرءوا ما تيسر لهم . — أما القصر فقد بدا شعلة من ضوء ، انتشرت قناديل الزيت وضيئة مضيئة ، وحمائل الشموع ألاقة براقة ، بين حجراته وردهاته وشرفاته ، ومن حوله . وأوقد مسجد المقياس ومناورته وأرسى « الغليون » وعلى صواريه علقت أمشاط القناديل . — هذا فى الروضة ، أما الشاطئان تجاهها ، وما قاربهما من دور ، فقد فاضت فيهما الأنوار ، حتى اتصل الضوء بالضوء ، واختلط الشعاع بالشعاع . وعلى الشاطئ تجاه الجيزة ضربت قبب للأمراء ، وخيام للجند ، وبسط القاضى محمود بن أجا كاتب السر مأدبة حافلة للسلطان وأضيافه ، أنفق فى إعدادها نحو سبعمائة دينار . وهناك فى أرجاء الروضة وعلى مقربة من القصر ، وبعد أن أدى السلطان صلاة العشاء جلس فوق سطح القصر ، وانطلقت أسهم النفط فى الفضاء ، وبدأت ألعابها النارية الرائعة تملأ الجواء ، — وكان النفط قد جئ به من القاهرة مزفوفا . . — كانت الليلة ليلة البدر ، وشعاعه الفضى مشفق على قناديلنا وشموعنا لهذا التحدى . وكل ذلك تنعكس صورته فى مرآة الماء فتتضاعف بهجته وروعته فى العيون . ولا تسل عن الألوف الحاشدة من الجماهير على الضفتين . . . كانوا سطورا سطورا على صفحتيهما ، ونقطا نقطا بين أقواس الزوارق فى رقعة اليم . .

أما أيام الأهرام فقد استطعت خلالها أن أندمج فى عداد حاشية الأمير الكبير « طومان باى » الدوادار ، وأن أصحبه أثناءها فى رحلته مع السلطان ، فشهدت عن كثب نزوله ورحيله . والأمير طومان باى بقية صالحة من خلاصة الأمراء الشجعان الذين شهدت البلاد منهم مواقف نبيلة جليلة . ألا رحم الله ، ازدمر الدوادار ، وقرقماش الأتابكى ، وطراباى رأس نوبة النوب ، وبارك لنا فى طومان باى الدوادار الكبير ، وسودون العجمى أتابكى الوقت . . إنه رجل طيب كريم . .

المستوفى : أجل ! إن سودون رجل طيب القلب كريم . . ولهذا استضعفه السلطان وأنقص من إقطاعه مائتى فدان . وقبل ذلك سلخ منه أراضى يقدر ثمنها بنحو عشرين ألف دينار . وكذلك صنع مع بعض الأمراء . .

الشاعر : رعاك . . ! وقد اقمنا طيلة أيام الأهرام كأننا نسبح فى أحلام . . فى أواسط ذى القعدة نزل السلطان من القلعة فى ركب حافل يتقدمه الأمير طوماى باى ، وعدد كبير من الأجناد بخيولهم ذات السروج الذهبية ، وكثير من الأمراء ، منهم أقباى الأمير آخور الثانى ، وكرتباى والى القاهرة الجديد ، وجم غفير من الخاصكية والسلاحدارية . وغطى السلطان رأسه بتخفيفته الصغيرة . ولم يلبس التخفيفة الكبرى ذات القرون . واتجه ركبه إلى اطفياس مارا بالصليبة ، ثم يمم شطر الأهرام فنصب له هناك وطاق فخم . وشمر الطهاة ومدت الموائد الحافلة ، ثم غنى المغنون بأصوات تشيع الطرب فى النفوس البائسة ، ومعهم آلاتهم وأعوادهم ، ومنهم محمد بن عوينة وجلال السنطيرى والبوالقة وابن الليموني

كان الجو رائعا والسماء صافية ، والهواء جافا معتدلا لا يغرى بالتمتع ، وبعد يومين رحل السلطان إلى الفيوم لتفتيشها ولإصلاح جسورها ، وبخاصة جسر اللاهون ، وفرض على المقطعين بها ضرائب للاصلاح ، واختار لمباشرة هذا العمل الأمير أرزمك الناشف . .

أما نحن فقد أقمنا فى سفح الأهرام ريثما يعود السلطان وقد

عاد محملا بهدايا لا تحصى قدمها إليه مشايخ العربان وأعيان البلاد منها آلاف الدنانير ، ومئات من الضأن والخيل والبقر وأقفاص الدجاج والأوز ، ولاقاه الخليفة المتوكل على الله ، بدمشور ، لأنها بلدته ، وقدم إليه كثيرا من عتاق المهار ، وسمين الأغنام والأبقار والأطيار ، وقدورا من العسل وجرارا من اللبن ..

ولما بلغ السلطان وطاقه حف إليه كثير من الأمراء والعلية والقضاء فاحتفوا بمقدمه ، ومن ثم أخذ يعيد عهد الأنس مرة أخرى ..

ثم أذن بالعودة إلى القلعة ، فمر ركبه بالمقياس أولا ، ثم نظم هذا الركب نظاما حافلا لم يرزقه ملك سواه . مشى أمامه رءوس النوب ، وجمع حاشد من الخاصكية . وعلى مقربة منهم الأمراء المقدمون وغيرهم ، وأعيان المباشرين . وقاضي قضاة الحنفية عبدالبرين الشحنة. ركب هؤلاء جميعا جيادا مطهمة مسرجة بالحرير مزدانة بالذهب ، ومعهم بعض الضيوف من أمراء العثمانيين وغيرهم ، وركب اربعة من الأمراء هجنا ، وعلى جانبيهم أفيال كبيرة كانت قد أهديت إلى السلطان وعليها البركستوانات — السروج — المخملة الحمراء ، وسار الركب تصحبه ألوان من الموسيقا ، ناسلا من شاطئ النيل عند مصر العتيقة إلى الصليبة ، حتى بلغ القلعة .. والناس فيما بين هذا وذاك تخب فى بحر من الأنس لا ساحل له ، وتموج فى يم من الفرح لا يعرف مداه ، وهى تضج للسلطان بالدعاء ..

فى تلك الأيام ملأت عينى منه ، وشاهدته بنفسى ، طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير .. أبيض اللون مدور الوجه ، مشحم العينين ، ضخم الصوت مستدير اللحية ، مهيب أنيق الملبس يحب الطيب ويؤنس جليسه ... ويقال إنه أهدى إلى أمرائه ومماليكه وأصدقائه أثر وصوله كثير من الهدايا

التاجر : لقد كدت تصبح من حزب السلطان يا شهاب ! لقد أغرتك منه تنقلاته اللاهية وفتنتك أسفاره الماجنة ، ما بالك تقص قصته وأنت بها لهج ، وعليها حدب ، وبحديثها معجب تياه ..؟ ألا إن صلات الأمراء وهبات العظماء لتعمى الوطنى أحيانا عن أن يبصر آلام أمته ..

الشاعر : إن أسفار سلطاننا إلى أطراف مملكته لتفتيشها أو تفقد أحوالها ، وإصلاح مرافقها ، سياسة رشيدة ، ولعل الغورى أراد أن يبدو فى ثوب من العظمة البالغة فى سفره إلى الأهرام والفيوم ، لأنه أول أسفاره ، وذلك أيضا لكى يبهر عيون الرعية ويكبر فى قلوب الأعداء ..

أما أنا فأحب المتعة والأنس ، فلا تستكثرهما مرة على رجل مثلى عاش طول حياته كابح القلب ، مصدود الفؤاد ..

التاجر : لا تنس يا شهاب الدين أن ذلك المال الذى ينفقه السلطان على ملاذه ، ويفرقه على أمرائه وأصدقائه ، ويغدق منه على مماليكه ، هو عرق الأمة المتصبب ، تجمع تبرا وتجمد ذهبا . وهو نتيجة مصادراته الظالمة لأموال الناس . احتازه أعوانه منهم عنوة .. وتركوهم صادين شاكين باكين ، يكتمون الشكوى فى صدورهم ، ويكبتون البكاء فى مآقيهم ... وإن يكن اللهو ضروريا فبمقدار ، وماذا يجدينا نزول السلطان إلى قبة يشبك ، أو مواكبه فى الميدان ، أو سمره بالمقياس ، أو لعبه الكرة على الخيل ، أو تفرجه بصراع الأفيال ونطاح الثيران وسباق الكلاب ونهاش الصقور ، وسماع البلابل ، إذا كان العثمانيون والصفويون واقفين له والمصريين بالمرصاد ..؟

ألا تحفظ قول الشاعر :

ملك يعيش كحالم فى نومه … لاه بطيب العيش فى أحلامه
والبؤس خيم فى الرعية لا ترى … فيها مكانا كف من آلامه
وغدا يرى أعداءه من حوله … فيفيق رعبا بعد طول منامه
لهفان يبحث عن بقية حلمه … ويد العدو تحول دون مرامه
لهفان يبحث عن ثمالة كأسه … محطومة كرها على أكمامه
والملك يمحوه النعيم وإنما … يبقيه هذا العزم من صمصامه

الشاعر : صدقت ! وقد خاطبتنى من الناحية التى تهتاج قلبى؛ غير أنى رأيت لسلطاننا الغورى محاسن أحببت أن تشاركونى فيها وفى تسجيلها ، على طريقة شيخنا ولى الدين

ولى الدين : الغورى سلطان كريم القلب جم المحاسن يميل إلى إحقاق الحق ، حسن الإيمان ، أديب عالم ؛ يناقش العلماء والفقهاء . بر متواضع آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، يهش للمظلة ألم تسمعوا بنزوله إلى قبر الأشرف قايتباى ، والعادل طومان باى ، وغيرهما ، فقرأ الفاتحة وفرق الصدقات ..؟

علم الدين الخياط : وأين هذا يا مولانا من جلوسه بالميدان ، وقد تفتح ورده الأبيض الجميل ، فطفق يرى كل أمير بوردة ،

فيلثمها ويقبل له الأرض ...؟

ولى الدين الفقيه : هكذا يا أخى تكون حياة السلاطين والعظماء . لا بد فيها من هذا النبل فى المعاملة ، وهذا التعاطف السامى والأدب الرفيع ، وإلا أصبحت هى وحياة السوقة سواء بسواء ، حياة جافة يابسة لا تشرف أمة ولا ترفع شعبا

الخياط : ألا تشعر يا مولانا الشيخ أن مثل هذه الحوادث . غفلة عن الزمان وتقلباته ، وبطنا عن الحيطة له ؟

المستوفى : كثير من الناس يظنون فى السلطان الغفلة ، والواقع غير ذلك . فإننا نراه دائما على علم بكل صغيرة وكبيرة ، يقظا لكل ما يدبره الأمراء فى الخفاء ، محتالا على الجنود وفتنهم. ويقال إن له عيونا خفية منبثة فى كل مكان ، تنهى إليه أخبار الحوادث ، ومنهم محمد بن سميدة الذى حظى عنده وسار بمجالسه على مرتبته ويلعب معه الشطرنج

التاجر : لو بذل السلطان جهده فى تهذيب جنوده ، وتوحيد قلوب أمرائه ، وتجديد آلات حربه ، والاستعداد لكل طارئ لحمدنا له بذله ويقظته وكنا ألسنة له لا عليه . لقد سمعت أن بعض الأحكام عطل تنفيذه لعدم توقيع السلطان عليها لعكوفه على اللهو واللعب

ولى الدين الفقيه: أنا لا أمقت من أعدائنا إلا هؤلاء الفرنجة. أما الصفويون أو العثمانيون فمهما يكن من شئ فهم مسلمون ، وقتالهم — بغير ريب — أدنى إلى الرحمة والعطف . أما الفرنجة الصليبيون فلا تجمعهم بنا جامعة جنس ولا لغة ولا دين ، فأحرى بالسلطان أن يوجه جهوده ضدهم

الشاعر : يا مولانا الشيخ ! العدو عدو ، ولو كان مسلما مثلك ، ما دام معتديا على وطنك . يا مولانا ! إن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . هذه أحاديث شريفة هجر المسلمون اليوم العمل بتعاليمها ولهذا أصبح بعضهم لبعض عدوا ، فسواء لدى أغزا الصوفى البيرة أم أغار العثمانى على حلب ، أم عبث الفرنج بتجارتنا فى بحر الهند . فكل هؤلاء أعداء الداء ينبغى أن يكافحهم السلطان ، ما داموا يقتلون منا ويثخنون فينا ويطمعون فى ديارنا

المستوفى : لقد أرسل السلطان قريبه (محمد بيك) إلى ناحية (الجون) ليدبر أخشابا لصناعة السفن ليمد بها تجريدة الهند ، ومعه جماعة من الجنود ، فوقعت بينه وبين الفرنجة هناك وقائع حالفه فيها النصر ، ورغم ما كان لديهم من السفن . ولكنهم تربصوا به حتى قتلوه وأبادوا جنده وغنموا سفنه . وكانت ملأى بالذخيرة — أما تجريدة الهند فإن السلطان لا يفتأ يبعث إليها المدد تلو المدد ، رغم ما تصاب به من هزائم ، مستحثا ملوك الهند وأمراءها على معونتها . وقد عاد « حسين » أمير الحملة وقص على السلطان أنباء الفرنجة وعبثهم ، وما بنوه على سواحل الحجاز وبلاد العرب والهند من قلاع وأبراج لتأمين السفن . وكان فى صحبته قاصد من الملك المظفر شاه ابن الملك محمود شاه صاحب كنباية ، فقدم إلى السلطان هدايا لا تعد ولا تحصى ، وطلب إليه أن يكتب له الخليفة العباسى المتوكل على الله « تقليدا » بولاية سلطانه مكان أبيه ، بعد وفاته

الخياط : وإسماعيل الصوفى ؟ ألم يبلغكم شئ من أخباره ؟ لقد توالت قصاد هذا الملك على بلادنا . ولا إخاله إلا يزداد قوة فوق قوة ، وطمعا بعد طمع

المستوفى : لقد أغار جنده مرارا على البيرة ، وانتصر على « أزبك خان » ملك التتار ، ثم أرسل رأس هذا الملك ، إلى السلطان كأنه يهدده . واستعدى الفرنجة سرا على ممتلكات السلطان. ولما استيقن السلطان من سوء نيته ، أخذ الحيطة لنفسه ، ومنع قاصده مدة من الاختلاط بالناس ، وأخيرا جاءه من لدنه قاصد جديد يحمل معه هدايا نفيسة ، فلم يأذن له السلطان ولا سيما أنه قدم إليه رسالة من ملكه بها أحاديث لا توجه إلى السلاطين . وقد أغلظ له السلطان فى الرد ، ولبث يترقب الفرصة من بعد حتى وافته الأخبار بهزيمة . . منكرة ، منى بها الصوفى على يد أعدائه من ملوك التتار

الشاعر : من أعجب ما حدث بمناسبة الحديث عن الصوفى أن أرسل هذا الشاه قاصده إلى السلطان ومعه رأس أزبك خان ومكاتبه فيها هذان البيتان :

السيف والخنجر ريحاننا ... أف على النرجس والآس
مدامنا من دم أعدائنا ... وكأسنا جمجمة الراس

ففهم السلطان مغزاهما وما ينطوى تحتهما من تهديد ووعيد ونشط كثير من شعراء مصر للرد عليه فقال الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق :

العلم والحلم لنا حلة ... حيكت مع القوة والباس

وسنة المختار طرز لها   وذكرنا تاج على الراس

وقال على الغزى من أبيات :

نحن أسود الحرب غاباتها   رماحنا للطعن والباس
وخيلنا تسرع فى سوقها   شدت لحرب المتعدى القاسى

وقال ناصر الدين بن الطحان :

أسد الوغى فرساننا كم سقت   كأس المنايا باغيا قاسى
ومن يزغ عن أمرنا طاغيا   نذقه مر الباس والكاس

وهكذا تبارى نحو مائتى شاعر فى معارضته بيتى الصوق ، ويقال إن السلطان لم يعجبه شئ من شعرهم . فرد عليه ببيتين للصوق الحلى ، هما :

ولى فرس للخير بالخير ملجم   ولى فرس للشر بالشر مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوم   ومن رام تعويجى فإنى معوج

ولى الدين الفقيه : إن هذا السلطان الجركسى ، غريب فى بابه ، فهو - فضلا عن مميزاته - محب للاداب عربية وتركية وفارسية ، على ما قيل . وينظم الشعر بالعربية ، ومنذ أمد أمر بترجمة الشاهنامة الفارسية شعرا تركيا

التاجر : غير أننا نلاحظ أنه ، حتى اليوم ، لم يخرج فى غزاة .. بخلاف مااعتادته البلاد من سلاطينها السالفين .

الشاعر : وهل - إذا خرج السلطان الغورى فى غزاة - تقدم إليه ما يحتاج إليه جنده من المونة ؟

التاجر : إن الرعية اليقظة تقدم لسلطانها فى جهاده أعداء البلاد ما يحتاج إليه من مونة . وينبغى لها أن تؤدى ما يفرض عليها وقت خروجه إلى الجهاد ، وحسبه وحسبها أن الأقدار ألقت إليه زمام الدفاع عنها وعن حياتها ، ومع هذا فلو قيض لى أن أكون جنديا فى صفوف جيشه ، لكان فى ذلك بلوغ الآمال وإدراك المنى . . . وأنا الرجل العامى الذى لم يرزق مهارة الأتراك وفتك العربان .. ما أحبها إلى القلب فرصة وما أشهاها ، تلك التى تتيح لى أن أذود عن حياض بلادى . . أى صديقى ! اقرأ التاريخ وقلب صفحاته ، فقد ملت مما تهادى إلى من أخباره أن هذا الشعب المصرى الوديع المتثاقل ، ثار وهب ، ووقف وقفات حاسمة مروعة بجانب سلاطينه . . .

الشاعر : لا أدرى لماذا يحدثنى قلبى بأننا سنساق فى يوم قريب إلى قتال ، وأنه سيكون لنا بين القاتلين موقف . .

المستوفى : أخشى ما نخشاه ، هو هؤلاء العثمانيون ، قوم خلقوا من المكر والدهاء ، ورزقوا الحيلة وبعد النظر ، وولى أمرهم منذ أمد قريب سلطانهم سليم ، ويقال إنه أصغر إخوته ، ولكنه مجبول إلى الفتك ، طموح إلى توسيع ملكه ، شديد الحيلة محكم التدبير . وقد بدأت الوحشة بينه وبين الصوفى ، ولكنه يصانع سلطاننا بالكثير من الهدايا القيمة ، ولقد عاد من لدنه الرئيس حامد المغربى ، وهو قاصد السلطان إليه ، ومعه عدة مكاحل - مدافع - نحاسية ، وكميات كبيرة من الحديد والخشب والحبال وغيرها لصناعة السفن . فبعث إليه سلطاننا الأمير أقباى الطويل ليهنئه بالملك وليدعم بينهما أواصر الودة . . والعاقبة يعلمها الله

الفقيه : وعلى ذكر المكاحل والسفن ، بلغنى أن السلطان معنى بإنشاء جملة منها ، وذهب مرارا إلى مدفن الملك العادل ليجرب هناك مكاحله الجديدة

الشاعر : يعجبنى منك يامولانا ولى الدين ، وأنت رجل فقيه اهتمامك بالشئون العليا ، وهذه الروح الحماسية القوية الوثابة . حتى لإخالك فى سن العشرين ..! وكان أحرى بمثلك أن يعنى بمجالس الفقه والحديث ، ويتردد على المساجد ليسمع من شيوخ العلم أو يفيد طلابه أو يجمع أخبار العلماء ، أو يلوذ بأبواب القضاة ...!

ولى الدين : حق يابنى ما تقول . إلا أن امرأ يصحب قوما مثلكم ، لجدير أن يكون على طرازى . ومع هذا ، فلا زلت أحقد أقعد بين طلاب العلم فأفيد وأستفيد . وأعود إلى مجالس العلماء ومحافل القضاة ومن على شاكلتهم ، ولكن أشهى المجالس إلى نفسى مجالسكم ، وأحلى الأحاديث إلى قلبى حديثكم ..

الشاعر : وعلى ذكر القضاة .. هل جاءك نبأ ماحل بقضاتنا الأربعة ، من جراء حادثة « الشالى » وما تم فى هذه الحادثة ؟

ولى الدين : لدى أخبار منها متقطعة ، وأنباء يشيع فيها الكذب ، فهل لديك منها نبأ صادق يا شهاب الدين ؟

علم الدين الخياط : لقد كدت أعرف تفاصيل هذه المسألة أمس . لولا عارض عرض ...

فرس الدين التاجر : لو أنصفت لأخبرتنا بدخائلها

شهاب الدين الشاعر : إن الرواية لم تتم فصولا .. وسأحدثكم عن أسرارها فى لقائنا القادم ، فقد طال بنا المقام ، فهيا ..

محمود رزق سليم

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة